كوستي بندلي

الجنس

ومعناه الانساني

طبعة رابعة منقحة ومزادة

منشورات النور

مقتطفات مما كتبه الاستـــاذ يوسف الخال
عن كتاب « الجنس ومعناه الانساني » في طبعته الاولى

« ... من حسن حظ القارىء العربي ان يصدر كتـــاب في « الجنس ومعنـــاه الانساني » ، لكوستي بندلي ... وجدت نفسي امام عقل راسخ في معرفة الاسس والاصول ، متحرر من التزمت والتقليد ، منفتح على التيارات المعـــاصرة في مجمـــل تناقضها (...) .

« وكم افادني كتابه هذا عن الجنس . فمنه تعلمت مرة اخرى ان الجنس (...) ليس حاجة بيولوجية بحتة (...) وهو ، اذن ، لا يهدف الى ازالة توتر عضوي فقط . انه « وصال » و « جماع » مع الآخر ، يزيل العزلة التي يشكو منها الانسان ابدا (...) .

« وتعلمت ايضا ان « تحريـــر » الجنس في المجـــون المعـــاصر مـــا هـــو الا « عبودية » اقسى من عبودية الصمت والجهل والخوف (...) وكيف لا يكـــون ذلك حين يبطل الشخص الاخر ويصير التركيز على اللذة الجنسية والتهالك عليها كميـــة وتفننا ، لا نوعا وعاطفة . وهنا يدب السأم والفراغ (...) .

« وتعلمت من الكتاب ان الحب لا يبطل العلاقة الجنسية ، لكنه وحده يجعل منها « وصالا » لا احتكاكا خارجيا بين عزلتين متقابلتين (...) وما العفة ســـوى الحرص على ان يحتفظ هذا اللقاء بمرماه الاتحادي (...) فالعفة ليست سلبيـــة تعني ، بالمفهوم التقليدي الموروث ، الخوف من الجنس ، والنرجسية ، والكبت بجميع معانيه وابعاده . فما هذه الا عفة زائفة (...) .

« وتعلمت آخرا ، وهو الأهم ، ان الجنس سعي الى المطلق عن طريق الحب الذي فيه يتبلور الجنس ويتسامى (...) على ان المطلق لا يدرك بالحب الـــذي يستقطبه (...) لذلك لا يقترن الحب بالسعادة فقط ، بل بالكآبة والحنين ايضا . وهنا يجيء دور الله . فهو « المشتهى بالحقيقة » كما تقول طقسية بيزنطية ، واليـــه نسعى في آخر المطاف حركة الجنس عند الانسان (...) .

« وبايصالنا الى الله ، ينهي كوستي بندلي رحلته البهيجة الهانئة في مجاهـــل الجنس وآفاقه الرائعة .

« وهي رحلة فريدة في نوعها ، على الاقل في تراث اللغة العربية » .

الفهرس

	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٥
المقدمة	٧
حواشي المقدمة	٩
الفصل الاول – الجنس في فرادته والتباسه	١١
آ – هل الجنس حاجة بيولوجية بحتة ؟	١٣
ب – معاني الجنس عند الانسان	٢١
د – اخفاق الجنس	٣٤
ه – بعض مظاهر اخفاق الجنس	٤١
و – اخفاق الجنس في المجون المعاصر	٤٥
حواشي الفصل الاول	٥٣
الفصل الثاني - الحب كتحقيق لمرمى الجنس الاتحادي	١٠٣
آ – ميزات الحب	١١٠
ب – نشؤ الحب	١١٥
ج – الزواج والحب	١٣٩

الصفحة

حواشي الفصل الثاني	١٥١
الفصل الثالث – العفة كمحافظة على اصالة الجنس	٢١١
آ – العفة الزائفة	٢١٤
ب – العفة الحقة	٢٣٦
ج – مظاهر العفة	٢٤٦
د – تربية العفة	٢٥٢
حواشي الفصل الثالث	٢٦٣
الفصل الرابع – آفاق الجنس	٣٠٩
آ – الجنس كسعي الى المطلق	٣١١
ب – اخفاق الجنس في بلوغ المطلق	٣٢١
ج – الجنس سعي الى الله من خلال المخلوق	٣٢٥
د – نظرة كتابية الى الجنس	٣٣١
حواشي الفصل الرابع	٣٤٧

مقدمة الطبعة الثانية

لقد نفدت الطبعة الاولى لهذا الكتاب منذ زمن بعيد . اما الطبعة الجديدة المزيدة ، فقد كانت عناصرها جاهزة منذ صيف ١٩٧٥ ، ولكن الأحداث اللبنانية المأساوية تسببت في تأخر صدورها . نعتذر عن هذا التأخير من كل الذين كانوا يتصلون بنا معبرين بألحاح عن رغبتهم في ان يروا من جديد هذا الكتاب قيد التداول ، ونوجه اليهم خالص شكرنا .

في هذه الطبعة الجديدة ، اضفنا على النص الاصلي العديد من الحواشي ، وغايتها التوسع والتعمق والتدقيق في هذه او تلك من النقاط . وقد اعتمدنا جمع الحواشي المتعلقة بكل من فصول الكتاب في نهاية الفصل المذكور . هكذا لا تُفرض الحواشي فرضاً على القارىء الذي يتسنى له ان يكتفي اذا شاء بالنص الاصلي ، أو ان يعود الى هذه او تلك من الحواشي او الى الحواشي كلها عندما يحلو له وعلى قدر رغبته في الاستزادة حول هذا او ذاك من عناصر الكتاب .

نرجو ان يُوفق هذا البحث في صيغته الجديدة الى اسداء خدمة اوفر للشباب والمربين ولكل ساع الى الحقيقة والحياة .

في ١٩ / ٣ / ١٩٨٠

المؤلف

الى زوجتي واولادي
لذكرى اخي مرسيل

مقدمة

يدور هذا البحث حول مناقبية الجنس ، لذا لا بد لنا قبل الخوض في هذا الموضوع ان نوجز مفهومنا للاخلاق عامة . فكثيراً ما ُفهمت الاخلاق — ولا تزال — على انها مجموعة نواميس يفرضها على السلوك الانساني مصدر خارج عن كيان الانسان ، سواء أكان هذا المصدر ارادة الهية مفروضة بشكل كيفي او وجداناً يتطلب من الانسان طاعة عمياء لأوامره ونواهيه . ذلك المفهوم الناموسي للاخلاق الذي تسرب عبر التاريخ حتى الى الاخلاق المسيحية محولاً إياها عن مفهومها الانجيلي الاصيل[1] ، لا يبدو لنا المفهوم الصحيح[2]. فالاخلاق في نظرنا نابعة من صميم الكيان الانساني ومعبرة عن متطلبات هذا الكيان العميقة . انها القواعد التي بموجبها يحقق الانسان انسانيته (وفي منظار ديني يعبر عن تلك الحياة النابعة من اتصاله بالله والتي بها تتحقق انسانيته على أكمل وجه)[3] . تلك النظرة الى الاخلاق تتفق وحدها ، كما يبدو لنا ، مع التعليم الانجيلي[4] من جهة ومع اكتشافات علم النفس الحديث من جهة أخرى[5] . لذا سنعتمدها فكرة موجهة لدراستنا هذه[6].

مناقبية الجنس ، في منظار كهذا ، هي ان يحقق الجنس مزماه الانساني . لذا لا يمكن تحديدها بالاستقلال عن دراسة الجنس كما يتجلى عند الانسان . هذا لا يعني انه من الممكن تحديد هذه المناقبية عن طريق الاستنتاج العلمي البحت . فالعلم ، من حيث هو علم ، يصف ما هو كائن وليس من شأنه ان يحدد ما ينبغي ان يكون . عالم القيم خارج عن متناوله[7] . لذا فالبحث في مناقبية الجنس يفترض تقييماً للجنس مرتبطاً بنظرة شاملة الى الانسان ومعنى وجوده . ولكن لا بد لهذا

التقييم ، اذا شاء ان يكون متأصلاً في مقتضيات الكيان الانساني ، ان يتخذ معطيات علوم الانسان منطلقاً له ، حتى لا يكون المعنى الذي يضفيه على الجنس غريباً عنه بل نابعاً من صميمه . هـــذا ما سنحاول تحقيقه[٨].

حَواشي المقدّمة

١ ـــ راجع :

Albert Plé : Freud et la Morale, pp. 153-159, Ed. du Cerf, 1969.

٢ ـــ حول عرض المبادىء الخلقية المسيحية ، وكأنها مضافة من الخارج الى السلوك ، راجع ايضا :

Chanoine Jérôme Régnier : Appels et Refus de l'homme moderne, p. 75, in Visages et Approches de l'Incroyance, Ed. du Chalet, 1965.

Claude Tresmontant : Les Problèmes de l'Athéisme, pp. 335-339, 349-350, 368-369, Ed. du Seuil, Paris, 1972.

٣ ـــ راجع :

P. Schoonenberg : Le Monde de Dieu en devenir, p. 206, Ed. Le Centurion, Paris, 1967.

Claude Tresmontant : Comment se pose aujourd'hui le problème de l'existence de Dieu, pp. 400-402, Ed. du Seuil, Paris, 1966.

٤ ـــ تقول ميشال جوز ـــ رولان في كتاب ناري لهـــا يعبر عن معاناة اليمة لمساوىء نمط من التربية « المسيحية » التقليدية :

« ان الاخلاق الجديدة المطالب بها انما هي اخلاق الانجيل . تلك سوف تنجر كل الاخلاقيـــة المترمتة التي تميزت بهـــا القرون الماضية والتي سببت كثيرا من الكوارث الحاضرة » .

Michèle Joz-Roland : Qu'as-tu fait de ton Dieu ? pp. 104-105, Ed. Fayard, Paris, 1970.

٥ ـــ راجع :

Albert Plé : op. cit., pp. 143-183.

Marc Oraison : Pour une éducation morale dynamique, pp. 39-46, Ed. Mame-Fayard, 1971.

٦ ــ لهذا المنظار وحده ، على كل حال ، حظ بان يكون فعالا في تربية شباب اليوم الذين يريدون ان يكون سلوكهم الخلقي نابعا من قناعة شخصية لا من مجرد تقليد موروث . يقول مفكر الماني ، ارنست ال :

« حيث يقف التقليد ــ وذلك هو وضعنا اليوم ــ يبدأ الاعلام ، اي ضرورة تقديم التبريرات المقبولة . ان مهمتنا ، في تلك الظروف ، دقيقة بشكل خاص . وقد قال شوبنهاور : سهل ان تعلن الاخلاق ، ولكن ترسيخ اسسها اصعب بكثير » .

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte. Les Etapes de la vie affective et sexuelle, p. 209, Ed. Le Centurion, Paris, 1972.

٧ ــ راجع :

Marc Richelle : Pourquoi les psychologues ? pp. 50-54, Ed. Charles Dessart, Bruxelles, 1968.

Pierre Antoine : Sens de la sexualité et recherche d'une éthique, pp. 320-321, in Sexualité humaine, Ed. Lethielleux, Paris, 1966.

٨ ــ في محاولتنا هذه ، سنستخدم بشكل اخص معطيات التحليل النفسي ، ولكننا سنجتهد بأن نتجنب الوقوع في الالتباس الخطير الذي يقوم على محاولة استنتاج مذهب خلقي من التحليل النفسي . فالتحليل النفسي ليس له ، بحد ذاته ، مشروع خلقي ، انما يهدف فقط الى القاء نظرة متبصرة على الدوافع العميقة للسلوك البشري والى فضح التبريرات الزائفة التي كثيرا ما يقدمها الانسان عن مواقفه . لذلك فليس من سلوك انساني ، ماجنا كان او متقشفا ، تقليديا كان او ثوريا ، الا ويضعه التحليل النفسي على المحك بلا رحمة ، فيضطر كل فرد الى التساؤل حول الدوافع الحقيقية لسلوكه ، اهي بالفعل متناسبة ام لا مع المثال الذي تبناه على الصعيد الواعي . سوف نجتهد بقبول هذا التمحيص القاسي لانه شرط لا بد منه لبلوغ اخلاق اصيلة . راجع بهذا الخصوص :

Paul Ricœur : La Psychanalyse et le Mouvement de la culture contemporaine, pp. 104-105, in Traité de Psychanalyse, tome I, Histoire, P.U.F., Paris, 1965.

الفصل الأول

الجنس الانساني في فرادته والتباسه

آ- هَل الجنسُ حاجَة بيُولوجيّة بحتة ؟

كثيراً ما فُهم الجنس – ولا يزال – على انه حاجة بيولوجية بحتة ، شبيهة بالجوع والعطش ، وان أهميته بالتالي ، على الصعيد المعنوي ، لا تفوق اهمية تلك الحاجات . وقد اتخذ هذا المفهوم منطلقاً لموقفين متناقضين يستندان اليه كلاهما رغم تباينهما[1] : الاول يبرر الاباحية لان العمل الجنسي شبيه « بشربة ماء » ليس الا[*] ، والثاني يدعو الى التزمّت كونه يعتبر الحاجة الجنسية مجرد حاجة جسدية وبالتالي لا تستحق سوى اهتمام جانبي .

شطط هذا المفهوم انه نابع من نظرة خاطئة الى الكيان الانساني ، نظرة تعود الى افلاطون وقد جددها[*] ديكارت فانتشرت وطبعت الفكر الانساني لحقبة طويلة من الزمن . تلك النظرة هي الثنائية التي تفصم الانسان الى كيانين ، نفسي وجسدي ، لكل منهما استقلاله وان كانا في علاقة احدهما بالآخر[2].

ولكن هذه النظرة لا تثبت اذا قورنت بواقع الاختبار الانساني ، وقد تجاوزها الفكر الحديث الذي ، بتحليله لهذا الاختبار وبالاستناد الى المعطيات العلمية ، يقر الآن وحدة

الكيان الانساني ولا يرى الجسد ، كما كان يراه ديكارت ، مجرد آلة يقابلها فكر ، بل تعبير حي عن الشخص ومكان حضوره في الكون وبين الآخرين ، كما ان الكلمة هي مكان حضور المعنى[٣].

١ - ليس من حاجات بيولوجية بحتة عند الانسان

من هنا ينتج انه ليس في الانسان من حاجات بيولوجية بحتة . فالحاجة الى الطعام مثلاً ليست عند الانسان مجرد حاجة جسدية ، لانها تتخذ طابعاً انسانياً شاملاً . فالمرء اذا سعى الى الطعام لا يرى فيه مجرد وسيلة لسدّ جوعه واعادة توازنه العضوي الى نصابه . انما يسعى ايضاً الى ارضاء حاجات معنوية ملازمة لتلك الحاجة الجسدية الى حد انها تندمج بها وتلوّنها : فانه حريص مثلاً على ان يكون مظهر الطعام جذاباً والمائدة مرتبة ، وغرفة الطعام مزينة بما يبهج النظر من اثاث وصور وغيرها . تلك الميول الجمالية مندمجة في الانسان بحاجته الى الطعام الى حد ان مشهد القذارة على المائدة قد يفقده شهيته وان كان جائعاً . ثم ان اللذة التي يشعر بها الانسان عند تناوله الطعام تابعة الى حد بعيد من جلوسه الى المائدة مع اشخاص يحبهم ويأنس لهم ، أكانوا افراد عائلته او اصدقائه ، مما يظهر ان الروابط الاجتماعية اندمجت بالحاجة البيولوجية وطبعتها بطابعها الخاص[٤] . وعلى العكس فقد اختبر الناس ان خبز الغربة مرّ ، اي ان الطعام يفقد لذته اذا كان الانسان مسلوخاً عن

بيئته المألوفة ، المحببة . وقد اشار سارتر بحق الى ان الم الجوع عند المحرومين ليس هو فقط الم المعدة الخاوية ، انما هو الى حد بعيد ألم الذل الذي يشعر بـــه انسان جارت عليه الاوضـاع الاجتماعية فأصبح بنظره فقـــدان الغذاء صورة مريرة لكرامته المهانة . هذا مـا يقوله الزعيم الشيوعي هيدرير ، وهـــو من ابطال مسرحية « الايدي القذرة » ، لاحد افراد حرسه الخاص ، مذكراً اياه بما دفعه للانتماء الى الحزب : « سليك ! الم ترو لي انه كان يخجلك ان تكون جائعاً ؟ وانك كنت تغضب لكون الجوع لم يكن يسمح لك بالتفكير باي شيء آخر ؟ وان شاباً في العشرين له اهتمامات افضل من التفكير الدائم بمعدته ؟ » هذا ما يلقي ضوءاً على عنوان اطلقه سارتر على احدى مقالاته : « الجوع هو اكثر بكثير من الجوع[5] » .

فأذا كانت الحاجة البيولوجية الى الطعام مرتبطة بهذا المقدار بعوامل نفسية ، فـــلا غرو ان تؤول الاضطرابات النفسية الى اضطراب في الغريزة الغذائية نفسها . فالاختبار اليومي يعلمنا ان الانسان المصدوم نفسياً قد يحاول التعويض عن ذلك بافراطه في الطعام[6] او بالعكس قد يقرف الطعام ولا يتناول منه سوى النزر اليسير . وقد وجد الطب الحديث ان كثيراً من حالات فقدان الشهية بصورة دائمة ليس لها من اسباب عضوية انما هي عائدة الى مشاكل نفسية عميقة ومكبوتة تعود جذورها الى تاريخ الطفولة ، وهذا صحيح ايضاً بالنسبة للعديد من حالات النهم المرضي ، التي قد تعني محاولة لا شعورية للاستعاضة عن عطف مفقود[7] . لا بل قد تؤدي هذه المشاكل النفسية الى اضطرابات في الجهاز الغذائي نفسه (كعسر الهضم الناتج عن اسباب نفسية مثلاً) .وفي بعض الاحيان الى اصابات في انسجته : فالقرحة مثلاً مسببة في كثير

من الاحيان ، كما هو معلوم ، من عوامل نفسية[8] .

٢ – الجنس بنوع خاص مرتبط بالشخصية ككل

فاذا كان صحيحاً ، كما حاولنا ان نبيّن ، انه ليس في الانسان من حاجات بحت بيولوجية ، فهذا صحيح خاصة بالنسبة الى الجنس[9] . فالجنس في الانسان مرتبط بنوع خاص بالشخصية ككل[10]. هذا ما يميز الجنس الانساني بشكل قطعي عن الجنس الحيواني[11]. فالجنس الحيواني تحدده اساساً عوامل جسدية ، وبنوع خاص الهورمونات أي افرازات الغدد الصماء التي بتأثيرها على الجهاز العصبي تحدد سلوك الحيوان الجنسي . أما الجنس الانساني فيتأثر الى حد بعيد بعوامل أخرى ، نفسية واجتماعية[12] ، ولذا قال عنه بحق الدكتور بول شوشار ، الاختصاصي المعاصر الكبير في فيزيولوجية الجهاز العصبي ، انه جنس نفسي (sexe psychologique)[13] ولنا على ذلك عدة أدلة .

منها ما يشير اليه الدكتور شوشار من ان استئصال الغدد الجنسية بعد البلوغ يزيل الغريزة الجنسية عند الحيوان ولكنه لا يزيلها عند الانسان : فالخصي يُثار جنسياً وان كان اصبح عقيماً[14] .

ومنها ما يتعلق بايقاع النشاط الجنسي . هذا الايقاع تحدده اساساً عند الحيوان عوامل عضوية . يقول الدكتور مارك اوريزون : « عند أنثى الحيوان ، يظهر السعي الغريزي الى الجماع نتيجة لاطلاق البويضة : انها حقبة الاثارة الجنسية . وبصورة عامة جداً ، ينتج السعي الى الجماع عند الذكر من

هذه الاثارة الجنسية اذا حدثت عند الانثى . اما خارج تلك الحقبة ، فالحاجة الجنسية في حالة رقاد ولا تظهر »[١٥] . اما عند الانسان فليس من ايقاع عضوي يُقنن النشاط الجنسي ، ذلك لان عوامل نفسية تلعب دوراً أساسياً لاثارة الغريزة الجنسية اوتهدئتها . يقول الكاتب نفسه في هذا الموضوع : « ان تقرير كينسي ... يخالف ، في هذا الموضوع كما في غيره ، بعض الافكار المألوفة . ففي الموضوع الذي نحن بصدده ، يقدم لنا هذا التقرير ، فيما يقدم ، شهادتين تشيران الى الحدين الاقصيين للنشاط الجنسي عند الانسان . جواباً على التحقيق المغفل الذي استند اليه اصحاب التقرير ، أجاب شخص انه يمارس الجماع يومياً خمس أو ست مرات . اما الشخص الثاني ، وهو ذو نشاط فكري واجتماعي قوي ، فلم يُشر سوى الى قذفين ليليّين او ثلاثة في السنة[١٦] .

« هذا ما يناقض مباشرة الفكرة المسبقة المتأصلة والمبسطة التي ترى ان ما يُطلق النشاط الجنسي عند الانسان هو نوع من الايقاع الفيزيولوجي الذي لا مناص منه على شاكلة بعض الافرازات . ان فيزيولوجية الجنس ، كما هي معروفة الآن ، تظهر بالعكس انه ليس عند الانسان أي ايقاع فيزيولوجي محدد من هذا النوع . ان للاثارة الجنسية دائماً منطلقاً نفسياً — واعياً او غير واع — ... »[١٧] .

صحيح ان لأنثى الانسان دورة جنسية فيزيولوجية شبيهة بما نجده عند أنثى الحيوان ، ولكن تأثيرها ضعيف على سلوك المرأة الجنسي بينما هو حاسم ، كما رأينا ، فيما يتعلق بأنثى الحيوان . يقول الدكتور مارك اوريزون : « كل ما هنالك ان بعض النساء يرغبن أكثر في الجماع او يكنّ أكثر تقبلاً له في الايام المجاورة لاطلاق البويضة عندهن . ولكن

هذه الظاهرة هي بالفعل قليلة الاهمية . وقد يحدث العكس ، لا على صعيد العقل ولكن على صعيد الرغبة ... »[١٨].

ويخلص هذا المؤلف الى انه « من البديهي ان الرغبة الجنسية ، في الجنس البشري ، خاضعة لتأثير عوامل مختلفة كلياً عن العوامل الفيزيولوجية ... »[١٩].

بين هذه العوامل ، يلعب الخيال دوراً رئيسياً[٢٠]. هذا ما يبينه مثلاً فرنسوا دويكارتس ، أستاذ علم النفس في جامعة لياج ، اذ يقول : « يستطيع الخيال وحده ان يثير رغبات جديدة ، حتى بعد علاقات جنسية موفقة » ويستنتج ان « الحساسية الجنسية عند الرجل والمرأة أكثر ديمومة مما هي عند الحيوان ، أقل خضوعاً للايقاعات الهورمونية »[٢١]. ويميل المؤلف الى قوة النشاط الجنسي عند بعض الشيوخ ، كفيكتور هيغو وميشله ، الذين قد يفوقون الشبان حرارة في علاقاتهم الغرامية ، بفعل الخيال وعوامل نفسية أخرى لم تؤثر فيها الشيخوخة كما أثرت في الجهاز الجنسي الفيزيولوجي[٢٢].

ومن جهة الاخرى ، فان اضطرابات الوظيفة الجنسية عند الانسان تشير الى هذا الارتباط الذي نحن بصدده بين الجنس والشخصية ككل . هذا ما يبدو لنا اذا تفحصنا حالات الشذوذ او العجز الجنسيين .

فلنأخذ على سبيل المثل نوعاً من الشذوذ الجنسي الا وهو الميل الى الجنس نفسه . فقد يبدو هذا الشذوذ لاول وهلة ناتجاً عن اسباب عضوية ، ولكن الواقع ان هذا التعليل غير وارد

في معظم الحالات[٢٣]. يقول الدكتور انـــدره ارتوس[٢٤] : « في الاغلبيـــة الساحقة من الحـــالات ، ليست الجنسية المثليـــة homosexualité نتيجة وضع غير طبيعي للغـدد ... انها سـلوك خاص عائد لعوامل نفسية ... »[٢٥]. نعم قد تكون هناك استعدادات عضوية تمهد الطريق امام هذا الشذوذ ، ولكن السبب الاساسي يبقى ، في معظم الحـــالات ، نفسياً[٢٦]. فالجنس العضوي لا يكفي ، عند الإنسان ، لتحديد الجنس النفسي . فقـد يرفض الذكر في اعماق شعوره ان يقبل وضعه كذكر ، وكذلك فقد ترفض الانثى أنوثتها ، ويتأصل هذا الرفض ، كما بيّن التحليل النفسي ، في مراحل الحياة الاولى[٢٧].

ما هـو صحيح بالنسبة الى الجنسية المثلية ينطبق أيضاً على العجز الجنسي عند الرجل والـبرودة الجنسية عند المرأة . لقد اكتشف الطب الحديث ان معظم هذه الحالات عائـدة لا الى أسباب عضوية بل الى اسباب نفسية[٢٨]. انها تعبير عن عجز الفرد على اقامة صلة حقيقية بشريكه[٢٩] وذلك لأسباب لاشعورية الى حد بعيد هي من باب النرجسية او الخوف او العداء[٣٠].

يمكن ايجاز ما سبق في هذا النص لايفون بريس : « ليس الجنس حاجة « جسدية » ، مستقلة فيزيولوجياً . ان الوظيفة الجنسية مرتبطة صميمياً بالشعور والخيال . نعلم اليوم ان معظم حالات العجز الجنسي والـبرودة الجنسية « نفسية » ، وان ظهور الرغبة وقوتها مرتبطان بأفكار ومشاعر الفرد على الاقل بمقدار ارتباطها بالعمليات الفيزيائية والكيميائية التي تجري في جسده ، وان الوضع انطبيعي على الصعيد الجنسي مرآة أميـنة كفاية للوضع الطبيعي على الصعيد النفسي »[٣١] .

فاذا كان الجنس عند الانسان مرتبط بهذا المقدار بالشخصية ككل[٣٢]، فهو بالتالي مندمج في الحركة التي تدفع هذه الشخصية الى تحقيق ذاتها على أكمل وجه في اطــــار علاقاتها بالكون وبالآخرين . انه بالتالي يحمـل معاني انسانية سنحاول الآن ان نجلوها .

ب - معاني الجنس عند الإنسان

يمكن تلخيص هذه المعاني بقولنا انها معانٍ اتحادية. فالانسان هو ذلك الكائن الذي يسعى الى اقامة شركة مع الآخرين لانه يحس بأنه لا يكتمل ولا يحقق ذاته الا بهذه الشركة. لذا حدّده ارسطو على انه « حيوان اجتماعي ». صحيح ان هناك مجتمعات حيوانية يدرسها العلم في أيامنا اكثر فأكثر. تلك المجتمعات هي أحياناً غاية في التنظيم وتوزيع الاعمال. ولكنها لا تتعدى كونها تكامل غرائز ووظائف. اما الاتصال الحقيقي بين الافراد، فانه لا يتحقق الا من خلال لغة، واللغة بالمعنى الصحيح يتفرد بها الانسان. فالجنس اذاً مرتبط بهذا المشروع الانساني الصميمي، مشروع الاتصال بين البشر[٣٣]. يقول تيسون بهذا المعنى: « ان الغريزة الجنسية ... هي على أكمل وجه غريزة اجتماعية. ان الطاقات الغنية التي توقظها فينا تحتاج لبلوغ ملء تحقيقها الى الاتجاه نحو الآخر ... فالقاعدة الاولى للغريزة الجنسية هي ان تدفع الكائن بكليته نحو الآخر ... لذا يخلص هسنارد (وهو أحد كبار الاخصائيين

المعاصرين في شؤون الجنس) الى القول بأن « العمل الجنسي هو أساساً عمل اجتماعي »[٣٤] .

١ ـ فالجنس داخل منذ البدء في اطار العلاقات الاجتماعية بين البشر

هناك وهم شائع ، ان عبّر عن شيء فهو يعبر عن رغبة واعية او غير واعية في الانفلات ، الا وهو ان الجماعات البدائية تمارس النشاط الجنسي بمعزل عن كل قيد . ان الدراسة العلمية لتلك الجماعات اثبتت بالعكس ان ممارسة الجنس فيها مقيدة بانظمة وقوانين[٣٥] . ومن اهم تلك القوانين ، كما بيّن العالم الاجتماعي الكبير كلود لافي ستروس ، قانون تحريم الزواج من الاقارب (prohibition de l' inceste) ولا يُعنى هنا بالاقارب مجرد الوالدين والاشقاء بل بصورة اعم الاشخاص الذين تربطهم درجات قربى يحددها العرف وتختلف من جماعة الى اخرى[٣٦]. هذا القانون يشمل الجماعات البشرية على تعددها واختلاف درجات حضارتها وان كان العرف يعفي منه بعض الافراد بالنظر للدور الهام الذي يلعبونه في الجماعة ، ولكن الشواذ هنا يثبت القاعدة[٣٧] . فما معنى هذا القانون الذي يتميز به النوع الانساني عن سائر الحيوانات ؟ لقد اوضح هذا المعنى كلود لافي ستروس بتحاليل شهيرة اذ ربطه بعادة العطاء المتبادل المتبعة عند الشعوب البدائية كما في مجتمعاتنا ايضاً . ففي كل المجتمعات البشرية يتبادل الافراد او الجماعات اشياء ثمينة ، ومن مظاهر هذا العرف تبادلنا الهدايا بمناسبة الاعياد . فما هي غاية هذا التبادل ؟ لقد كان بالامكان ان تُحصّل هذه الاشياء وتستهلك فردياً . ولكن تبادلها يوجد رباطاً بين الافراد والجماعات ويخمد النزاعات العدوانية التي قد تبرز في العلاقات بينهم . وبما أن أثمن ما تملكه الجماعات البشرية

نساؤها ، لذا كان تبادل النساء بينها افضل تعبير عن ناموس العطاء المتبادل الذي ذكرناه . هذا هو بنظر لافي ستروس مبرر وجود قاعدة تحريم الزواج من الاقارب ، فقد قال عنها انها « ليست قاعدة تمنع الزواج من الأم او الاخت او الابنة بقدر ما هي قاعدة تلزم باعطاء الام والاخت والابنة للآخر . لنها القاعدة المثلى للعطاء »[٣٨] . وقد بيّن العالم المذكور ان هذه القاعدة كانت الشرط الاساسي للانتقال من الطبيعة الى الحضارة او بعبارة اخرى من الصعيد الحيواني الى الصعيد الانساني . ذلك انها « تقيم بين البشر رباطاً لا يستطيعون بدونه الارتقاء فوق النظام البيولوجي ليبلغوا نظاماً اجتماعياً »[٣٩] . فلولا هذه القاعدة لحكم على الجماعات البشرية المسيّرة بنواميس الغرائز أن تكون مغلقة ، متباعدة ، متناحرة ، وان تنفجر كل منها وتتفتت بداعي التنافس بين افرادها[٤٠] . هكذا نرى ان تقنين العلاقات الجنسية الملازم للجماعات من حيث هي بشرية قد جعل من الجنس اكثر من مجرد غريزة اذ جعل منه اداة للتخاطب بين البشر[٤١] .

٢ - الجنس الانساني بحد ذاته ينزع الى اتصال صميمي بالآخر

ولكن هناك ما هو أبعد واعمق من تسخير الجنس كأداة لربط الجماعات البشرية بعضها ببعض . فالجنس ، اذا أخذناه في حركته الخاصة ، ينزع عند الانسان الى اتصال صميمي بالآخر . ذلك هو معناه الانساني الاساسي . يقول الفيلسوف الشخصاني المعاصر فرنسوا شيرباز : « لا يمكن تحديد الجنس على انه وظيفة بيولوجية ، ذلك لانه يقيم علاقة وبالتالي فهو حركة ذات معنى ،

به ومن خلاله أتوجه الى آخر ، أقيم معه صلة عاطفية . وبعبارة أخرى فان العمل الجنسي يعني شيئاً ، يعبّر عن شيء ... ما يمكن ان يعطي الجنس معنى هو كونه يعبر عن تقارب لا ينتهي بين كائنين . ذلك هو اذاً المعنى الاساسي للجنس : انه يهيء للقاء بين كائنين حرين ولحميّين ويبشر به ، كما انه يبغي ايضاً تحقيقه وتتميمه . انه يبقى حركة فارغة طالما لم يُظهر ذلك المعنى الذي يبغي ان يعلن عن نفسه من خلاله . ولكنه يمتلىء معنى حالما تظهر نية اللقاء هذه »[42].

اولا – انه حركة تدفع الفرد الى لقاء الآخر .

فالنزعة الجنسية الانسانية لا تهدف الى ازالة توتر عضوي وحسب . ان مجرد اثارة الفرد لاعضائه التناسلية الخاصة تكفي للحصول على انفراج عضوي ولكنه يترك في الانسان شعوراً بعدم الارتياح[43]؛ ذلك ان الجنس عند الانسان يبغي ما هو أبعد من زوال التوتر العضوي ، انه يبغي الاتصال بالآخر ، كما تشير عبارات « جماع » و « وصال » التي تستعملها اللغة للاشارة الى العمل الجنسي . فالانسان يشكو ابداً من العزلة وهو يسعى من خلال سلوكه الجنسي ، ولو لم يعِ ذلك ، الى ازالة تلك العزلة باتحاد كامل بكائن آخر يُكمّل نقصه[44]، كائن يكون على صورته لكي يتاح له الاندماج به ، ويكون مختلفاً عنه ، من حيث انه آخر ومن حيث انه من الجنس الآخر[45]، كي يستطيع ان يكتمل به . هذا ما صورته رمزياً تلك الاسطورة التي رواها افلاطون ، اسطورة الاندروجين (الذكر – أنثى) . تقول الاسطورة انه كان في الاساس كائنات تجمع في جسد واحد اعضاء الذكر واعضاء الانثى . الا ان غضب الآلهة شطرها الى

شطرين ، ومنذ ذلك الحين اصبح كل من الشطرين يحنّ الى اللقاء بالشطر الآخر ليعيد معه الكيان الواحد الاصيل[٤٦].

ونجد في سفر التكوين من الكتاب المقدس وثيقة معبرة عن تلك النزعة الاتحادية للجنس الانساني .

« فدعا آدم جميع البهائم وطير السماء وجميع وحش الصحراء باسماء . واما آدم فلم يوجد له عون بازائه . فأوقع الرب الاله سباتاً على آدم فنام فاستلّ احدى اضلاعه وسد مكانها بلحم وبنى الرب الاله الضلع التي اخذها من آدم امرأة فأتى بها آدم. فقال آدم ها هذه المرأة عظم من عظامي ولحم من لحمي . هذه تُسمى امرأة لانها من امرىء أُخذت ولذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فيصيرا جسداً واحداً » . (تكوين ٢ : ٢٠ - ٢٤) .

لدينا ، في هذا النص ، صورة بليغة عن العلاقة الوثيقة التي تشدّ الرجل والمرأة أحدهما الى الآخر . فكل منهما متجه بطبيعته الى الآخر لانه ناقص بدونه ، يحنّ الى الاكتمال به ، حتى اذا اتحدّ به يؤلف واياه « جسداً واحداً » ، بالمعنى الكتابي لكلمة « جسد » التي تشير الى واقع الانسان الحيّ بكليته[٤٧] ، أي انه يؤلف واياه كياناً بشرياً حياً واحداً[٤٨].

ان ما عُبّر عنه شعرياً في الاسطورة وفي النص الكتابي ، ردده في عصرنا اهل العلم المشتغلون بتقصي اعماق النفس الانسانية. ان مؤسس التحليل النفسي ، سيغمون فرويد ، كان لأول وهلة ميالاً ، بتأثير ايديولوجية البيئة الطبية التي نشأ فيها ، الى اعتبار الميل الجنسي مجرد تعبير عن توتر عضوي[٤٩]. الا انه اضطر على

ضوء اكتشافاته الى تجاوز ذلك المفهوم الضيق للجنس ، فكوّن حوالى سنة ١٩٢٠ نظريته في « غريزة الحياة » التي وسّع فيها مفهومه للجنس فجعل منه طاقة اتحادية ، شبيهة « بالعشق » (Eros) الذي تحدث عنه أفلاطون[٥٠] وبالمحبة التي وصفها الرسول بولس في رسالته الاولى الى أهل كورنثوس[٥١] . وفي كتابه الصادر سنة ١٩٣٠ بعنوان « ضيق في الحضارة » ، أكد فرويد ان الحب بين رجل وامرأة يكشف جوهر طاقة العشق (Eros) هذه (أي الجنس بالمفهوم الفرويدي الجديد) ، الا وهو « قصده بأن يجعل من عدة كائنات كائناً واحداً »[٥٢] .

وقد كتب المحلل النفسي الكبير المعاصر ، اريك فروم ، في مؤلفه « فن الحب » ما يلي : « ان الانجذاب الجنسي لا تسببه الحاجة الى ازالة توتر سوى جزئياً ؛ انه خاصة حاجة الى الاتحاد بين قطبين متضادين »[٥٣] ، وايضاً : « ان الرغبة الجنسية تسعى الى الانصهار ، ولا تُردّ أبداً الى حاجة جسدية ، الى تفريغ توتر مزعج »[٥٤].

هكذا فالنزعة الجنسية تدفع الرجل والمرأة أحدهما نحو الآخر بغية ان ينصهرا ، من خلال تداخل الاجساد ، في لقاء صميمي ما بعده من لقاء . لذا ففي الجماع – اذا كان حقاً جماعاً ، وهذا ما سوف نرى شروطه فيما بعد – نشوة أقوى وأعمق من ان تُرد الى مجرد زوال توتر عضوي . انها نشوة المرء الذي بلغ ، باتحاده بالكائن المكمّل له ، قسطاً من الملء الذي يصبو اليه بكل جوارحه[٥٥]

ثانياً – مقارنة مع الجنس عند الحيوان[56]:

هذا البعد الاتحادي يميز بشكل قاطع الجنس عند الانسان منه عند الحيوان ، رغم نواحي التقارب الكائنة بينهما . فالجنس عند الحيوان مسخّر جوهرياً لاستمرار النوع . لذا فاتصال حيوانين جنسياً هو اساساً اتصال عضوين تناسليين متكاملين من اجل تخليد النوع . لا لقاء حقيقي اذاً بين الذكر والانثى ، بل تكامل وظائفي يمكن فيه مبدئياً لأي ذكر ان يقوم مقام ذكر آخر ولكل انثى ان تقوم مقام انثى اخرى ، بغض النظر عن الصفات الفردية التي تميز هذا او تلك من الذكور والاناث . لا بل يمكن القول ، على ضوء الدراسات الحديثة ، بأن ما يُطلق السلوك الجنسي عند الحيوانات ، حتى المتطورة منها ، كثيراً ما يكون ليس رؤية حيوان من الجنس الآخر ككل ، انما هو التقاط اشارة خاصة بادية على جسم هذا الحيوان[57]. فقد بيّن العالم الالماني الكبير تينبرغن Tinbergen ان انثى احد انواع الاسماك النهرية المدعوة épinoche لا تجتذب الذكر ، في فترة التناسل ، الا بسبب بطنها المنتفخ بالبيض والمتحرك ، وقد برهن عن ذلك بصنعه دمية ليس لها بشكل الانثى سوى شبه بعيد ولكنها تحمل مثلها انتفاخاً في جانبها الاسفل وحرّك هذه الدمية في الماء فاجتذبت الذكر تماماً كما لو كانت الانثى عينها[58]. ويحدثنا الاختصاصي الفرنسي بالسلوك الحيواني ، ريمي شوفان ، عن نوع من البط يتميز فيها الذكر عن الانثى بالوان غنية جداً منتشرة على كل جسمه ، ولكن سر اجتذابه للانثى كامن في علامة فارقة واحدة الا وهي الريش الاخضر الذي تتميز به رقبته ، حتى انه اذا نُتف هذا الريش بالذات في رقبة الذكر ،

رفضته الانثى [59]

اولوية النوع تلك ، التي يتميز بها الجنس عند الحيوان ، تبدو بشكل صارخ في الحالات العديدة التي يقترن بها التناسل بموت كل من الحيوانين المتناسلين او احدهما ، ضحية ممارسة العمل الجنسي . فهناك مثلاً نوع من الدود البحري المدعو Palolo الذي يصعد افراده الى سطح البحر في موسم التناسل، فينفجر الذكور والاناث مطلقين الخلايا الجنسية التي تتحد بعضها ببعض لتنتج حيوانات جديدة . وكثيراً ما يكون الذكر وحده ضحية العمل الجنسي فذكور النحل لا مبرر لوجودها سوى ان يلقح احدها الملكة اثناء طيرانها العرسي ثم يموت فوراً ، وبعد فترة تقتل العاملات بقية الذكور وقد اصبحوا دون فائدة . وهناك نوع من الدود لا يمكن لانثاه ان تُلقح الا اذا سحقت بطن شريكها لتبتلع خلاياه الجنسية [60] . هذا هو ايضاً شأن تلك الحشرة التي نسميها بالعامية في بلادنا « جملا »[61] mante religieuse والتي تفترس انثاها رأس الذكر اثناء العمل الجنسي،[62] مما يؤدي ، كما بيّن الاختصاصيون ، الى تلقيح اوفر [63] .هكذا « فالنوع ينتصر ونقل الحياة هو المهم . كثيراً ما يحصر الذكر في دوره فيخصب ويموت » [64]

الا ان تطور الحياة من اشكالها الدنيا الى اشكال أرقى فأرقى يوازيه تطور في الجنس الحيواني نفسه ، فقد لوحظ انه عند الانواع الراقية من الحيوانات ، تتخذ العلاقة الفردية شيئاً من الأهمية في التناسل . فعند الطيور والحيوانات ذوات الثدي يظهر اختيار للشريك الجنسي واستمرار في العلاقات بين الشريكين قد يدوم فصلاً او أكثر او مدى الحياة[65]. هكذا نجد « ارتقاء

تدريجياً للجنس من الصعيد البيولوجي الى الصعيد النفسي ، من مجرد الاتصال الجنسي دون وعي حقيقي لآخر هو مصدر انعكاسات ليس الا ، الى اختيار شريك خاص ، مما يشكل بذور الحب الانساني »[٦٦].

ولكن ظهور الانسان كان قفزة تحولت معها جذرياً نوعية الجنس. فرادة الانسان في انه يدرك ذاته ويدرك الآخر ويدرك الجنس. لذا لم يعد نشاطه الجنسي مجرد أداة لاستمرار النوع بل اصبح مسخراً لأهداف الذات الانسانية. وبالتالي فبين الجنس الحيواني والجنس الانساني اتصال وانقطاع بآن[٦٧]. يقول ابال جانيير بهذا المعنى : « الجنس الحيواني والجنس الانساني يستهدفان كلاهما استمرار النوع ويمكن مقارنتهما من هذا القبيل ، الا ان الجنس الانساني يتجاوز هذا الهدف بشكل ملحوظ »[٦٨]، وايضاً : « ان لقاء الرجل والمرأة ليس لقاء الذكر والانثى. ليس ذلك وحسب. »[٦٩]. انه يتجاوز ضرورة استمرار النوع في اتجاهين : اولاً انه ليس منحصراً في مواعيد الخصب كما هي القاعدة عند الحيوان ، ثانياً انه يسعى الى الاتحاد بين شخصين. فبخصوص الاتجاه الاول يقول الدكتور شوشار : « الحياة الجنسية عند الحيوان آلية تستهدف الاخصاب وتحصر النشاط الجنسي في الوقت المفيد فقط. أما في النوع البشري فالرغبة الجنسية ، على العكس ، تنزع الى الاستقلال عن العوامل الهورمونية والى ان تصير ممكنة في كل وقت ؛ ان عملية الادراك تركز الاهتمام على العلاقة الجنسية ومتعتها وليس على الاخصاب »[٧٠]. أما بخصوص الاتجاه الثاني ، فيقول الكاتب نفسه ان أنسنة الجنس تتجلى « بأولوية غاية الاتحاد النفسية على غاية التناسل البيولوجية »[٧١]. مجمل الكلام انه ، على حد تعبير المفكر المعاصر بول افدوكيموف ، « في

الانسان يجد التميز الجنسي معناه وقيمته الخاصة ، بالاستقلال عن النوع »[72] . هذا المعنى هـــو اتحاد قطبين شخصيين متضادين ومتكاملين في نشوة لقاء يجمع بينهما في الصميم[73].

٣ – الالتباس الكامن في الجنس الانساني .

ولكن الانسان كائن مُعقّد تمتد جذوره الى اعماق عـــالم الغريزة ويتطلع بانظاره الى أسمى القيم . هذا التعقيد في الانسان، هذا التوتر الذي يكوّن فرادته ، بادٍ ايضاً في الجنس الانساني . فان هذا الجنس ينتمي الى الغرائز ويتجاوزها بآن . فهو من جهة حاجة غريزية نابعة من الكيان العضوي تدفع الى سلوك يزيل توتر هذا الكيان ويعيد اليه توازنه . ولكنه من جهة أخرى يتميز عن الغرائز كافة . فالغريزة العادية هي حاجة الى شيء ، فاذا استُهلك هذا الشيء زال التوتر ورقدت الحاجة الى حين . هكذا فالحاجة الى الطعام تزول باستهلاك الطعام ، وكذلك الحاجة الى شراب ، والحاجة الى حرارة والحاجة الى هواء ... اما الجنس فهـــو صميمياً عند الانسان نزعة الى الاتحاد ، والاتحاد لا يكون بين شخص وشيء بل بين شخص وشخص . الجنس الانساني اذاً سعي الى شخص[74]. والشخص لا يُستهلك والا أصبح شيئاً ، انما يُلاقى ، يُتصل به[75]. الغريزة العادية لا تقيم وزناً للشيء الذي تسعى اليه من حيث هو ، انما تتخذه وسيلة لبلوغ مأربها ، لذا تتلفه لتعيد التوازن العضوي الى نصابه . اما الجنس ، فمن حيث انه نزعة اتحادية ، فلا يستطيع ان يبلغ مرماه الا بتأكيد شخص الآخر ، لان الاتحاد لا يتم الا بين قطبين متقابلين ويتطلب بالتالي قيامهما كليهما دون ان يغيب أحدهما ، دون ان يذوب في الآخر . من هذه الناحية لا يمكن اعتبار الجنس حاجة غريزية على شاكـــلة

الجوع مثلاً[٧٦]، لانه يتفرد بكونه « في جوهره حماسة المشاركة الحبية بين ذات وذات »[٧٧].

هكذا يبدو لنا الجنس الانساني مطبوعاً بطابع الازدواجية. انه غريزة ويتجاوز الغريزة بآن. لذا تتجاذبه نزعة الى الاستهلاك ونزعة الى المشاركة[٧٨]. هذا ما يتضح لنا بشكل بارز اذا عدنا الى أصول الجنس في حياة الفرد الانساني كما وصفها لنا فرويد. معلوم ان احد الاكتشافات الرئيسية التي حققها رائد التحليل النفسي هذا هو ان الجنس لا يظهر فجأة في الانسان عند المراهقة ولكنه موجود منذ بدء الحياة ويتطور ماراً بمراحل مختلفة عبر الطفولة والمراهقة الى ان يتخذ شكله النهائي المعهود[٧٩]. اول تلك المراحل هي تلك التي يتميز بها الطفل في السنة الاولى من عمره، وهي ما سمي بالمرحلة الفمية لان النزعة الجنسية فيها، وهي لا تزال مبهمة، مركّزة على الفم الذي يشكل المصدر الاساسي للمتعة عند الطفل في ذلك العمر (والجدير بالذكر ان تلك المرحلة البدائية ستترك أثرها في الجنس عندما يتخذ شكله النهائي، وما أهمية القبلة في النشاط الجنسي عند الراشد سوى دليل اندماج النزعة الفمية في الجنس المكتمل).

قلنا ان الجنس في أول عهده يتخذ فم الطفل مرتكزاً له، ولكن الفم هو ايضاً مركز الوظيفة الغذائية[٨٠]، به يتناول الطفل حليب الأم ليغتذي منه. وهكذا يبدو الجنس في أول عهده مرتبطاً بالطعام ومتجاوزاً له بآن[٨١]. النشوة « الجنسية » الاولى يختبرها الطفل عندما يرضع ثدي أمه، كما بيّن فرويد في نص شهير[٨٢]. ولكن ما هو سر تلك النشوة؟ أهو في استهلاك الحليب؟ بديهي ان الامر يتعدى ذلك الصعيد الغذائي. فان ما يرتاح اليه الطفل ليس مجرد حليب الأم الذي يسد

جوعه ، بل ما يناله مع هذا الحليب ومن خلاله ، ألا وهو « حليب العطف الانساني » على حد تعبير شكسبير[٨٣]. ما يطلبه الرضيع لا شعورياً عندما ينهل الحليب من ثدي أمه هو ان يلفه حضورها الدافىء[٨٤] لكي يتحد بها كما كانت الحال عندما كان جنيناً . وبعبارة أخرى ما يطلبه الرضيع ليس مجرد حليب الوالدة ، انما الوالدة نفسها[٨٥]. هذا ما يتضح ليس فقط من الآثار التي يتركها ذلك الوضع الاول في العقل الباطن عند الراشد ويظهر في التحليل النفسي[٨٦]، بل من ملاحظة سلوك الرضيع نفسه . فمثلاً نجده ، بعد ان يكون قد ارتوى من حليب الأم ، يمص اصبعه او يرضع لسانه ، وكأنه بذلك يجد في جسده (الذي لا يستطيع بعد تمييزه عن جسد الأم) بديلاً لذلك الاتحاد بالأم الذي كان يتمتع به أثناء الرضاعة[٨٧]. ومن هذا الباب ايضاً هذه الظاهرة التي يلاحظها المرء بسهولة والتي يشير اليها الدكتور دونجيه[٨٨] ، ألا وهي ان الطفل فيما يرضع يحدّق في وجه الوالدة (والوجه ، كما هو معلوم ، هو ذلك المكان المفضل لحضور الشخص) ، وكأنه فيما يتناول حليب الأم ، « يلتهم » وجهها بعينيه[٨٩]. لذا فالوجه الانساني هو من اول الاشياء التي يتعلم الطفل ان يميزها ، كما بيّن العالم الكبير الدكتور رينه شبيتز بملاحظات واختبارات شهيرة ، معبراً عن هذا التمييز بالابتسامة التي يجيب بها على الوجوه الباسمة حوله منذ شهره الثاني أو الثالث[٩٠]. ومما يوضح ايضاً ان اتصال الرضيع بأمه يتعدى العلاقة الغذائية هو ما أثبتته دراسات الدكتور شبيتز نفسه وغيره من الباحثين من ان الطفل اذا حُرم من حنان الوالدة يذبل جسدياً ونفسياً ولو كانت جميع حاجاته البيولوجية ، من غذائية وصحية ، متممة على أكمل وجه[٩١] .

انطلاقاً من هنا نفهم أهمية الفطام بالنسبة لنفسية الطفل ، انه ليس مجرد انقطاع حليب الأم عنه ، بل « تبدل ذو معنى في علاقات الأم والطفل »[92]، انه انسلاخ عن الام يعيد نوعاً ما انسلاخ الولادة[93] ، لذا تدعوه قبيلة اليوروك الهندية « نسيان الام »[94].

أهمية هذه المرحلة بالنسبة لموضوعنا هي انها ، كما قلنا ، تظهر بشكل جلي الالتباس الكامن في صميم الجنس عند الانسان. فالطفل يود الاتحاد بوالدته ، ولكنه ، نظراً لعدم نضجه ، لا يسمه ان يحقق هذا الاتحاد الا على طريقة اشباع الغريزة الغذائية ، انه يحاول ان يلتهم أمه ، ان يستهلكم كما يُستهلك الحليب ، انه « يحب بمعدته » على حد تعبير آنّا فرويد[95] . ولكن لا بدّ له ان يفشل في مسعاه هذا . فالشخص لا يُستهلك كما قلنا ، والمشاركة المرجوّة لا تتم عن طريق الاستهلاك . لذا رأينا الطفل يفتش في جسده عن بديل للام بعد رضاعة ارتوى فيها من حليبها . ولذا يترك زمن الرضاعة ، مهما طال ، فراغاً في النفس ، كما بيّن فرويد[96]، تبقى آثاره أبداً في العقل الباطن ، كأن هناك غاية لم تُبلَغ ، وكأن أحداً لم يحقق ذلك المثال الذي يعبر عنه المثل السائر « ان يشبع من حليب أمه » ، لأن المقصود من خلال الحليب لم يُنَل[97] .

د - إخفاق الجنس

تلك الازدواجية التي يتميز بها الجنس الانساني الذي تتنازعه ، كما رأينا ، رغبة في الاستهلاك ورغبة في الاتحاد ، لا تنحصر في بدء تاريخ الجنس عند الرضيع ، انما تمتد الى الجنس في شكله النهائي عند الراشد .

فالراشد ، رغم كونه قادراً ، اكثر بكثير من الرضيع على تميز شخص الآخر ككيان قائم بذاته ، لا يزال يحتفظ ، بشكل لا شعوري الى حد بعيد ، بتلك النزعة التي رأيناها تدفع الرضيع الى « استهلاك » الآخر[٩٨]. هذا ما يطبع العلاقة الجنسية بطابع استهلاكي يُعبّر عنه في المواقف وتترجمه عبارات اللغة . فكثيراً ما تعتبر المرأة نوعاً من الفاكهة ويشبه اعضاء جسمها بفواكه متنوعة (والامثلة على ذلك كثيرة في الأدب والفولكلور : « والخدان تفاحة بتغار من تفاحة » مثلاً)[٩٩]. وفي لغة الفلسفة وعلم النفس ، كثيراً ما يُسمى الميل الجنسي بالفرنسية « appétit sexuel » اي « الشهية الجنسية » ، مما يظهر موضوع هذا الميل بمثابة فريسة تؤخذ وتؤكل[١٠٠]. هذا ما يتحقق على اكمل وجه في عمل الاغتصاب الذي يتنكر لحرية المرأة كشخص « ويستهلكها »

كأنها شيء ، ولذا يقال بحق ان المغتصب « افترس » ضحيته[101]: الموقف الاستهلاكي في العلاقة الجنسية هو دائماً هدّام للآخر لانه يزيل كيانه الشخصي ليعتبره مجرد شيء[102]، وهكذا فهو يؤدي في الحالات القصوى الى السادية اي الى التلذذ الجنسي بتهديم الآخر معنوياً ومادياً . هذا التهديم قد يذهب الى آخر الحدود فيؤول الى ازالة الآخر من الوجود ، هذا ما يحدث في الجرائم السادية[103] او في سلوك « ملكة من ملكات فرنسا كانت تأمر بالقاء عاشقيها في النهر بعد استعمالهم »[104]. هذه الحالات القصوى انما هي تضخيم يظهر بجلاء جوهر النزعة الاستهلاكية في الجنس ، الا وهي اعتبار الآخر شيئاً يُستمتع به ثم يُنبذ نبذ النواة[105]، انه ليس هنا « سوى اداة ، السكين التي تُرمى بعد استخدامها ، الصدفة التي يتركها المرء على الرمل بعد ان يذوقها »[106]:

قلنا ان تلك النزعة الاستهلاكية تنبع من الطبيعة الغريزية للجنس . ولكنها تزداد شدة وخطورة بسبب ميزة انسانية سنحاول الآن تبيينها . ان في العمل الجنسي لذة شبيهة بتلك التي ترافق ممارسة سائر الغرائز لا بل هي تفوقها قوة وحدّة بالنظر كما قلنا لتلك الحاجة الصميمية الى الآخر التي تعبّر عنها النزعة الجنسية عند الانسان . واللذة بحد ذاتها أمر حسن وايجابي[107]، انها، كما سبق واوضح ارسطو ، الدليل على أن النشاط الانساني يجري وفق نواميسه الطبيعية ، انها ، كما بيّن الفيلسوف المعاصر موريس برادين ، علامة على سير الانسان في خط اكتمال كيانه ، انها ايضاً ، اذ ترافق الوظائف الطبيعية عند الانسان ، حافز على ممارسة تلك الوظائف التي مَن شأنها إن تؤمّن حفظ وانطلاق الفرد من جهة واستمرار النوع من جهة اخرى . ولكن الانسان

يتميز عن سائر المخلوقات بادراكه . انه لا يكتفي بأن يعيش اختباراته المختلفة ، بل هو يعي ما يعيشه . الحيوان يشعر باللذة . ولكن الانسان وحده يُدرك هذا الشعور ، يعرف لذته . هذا الوعي للذّة يضاعف اللذة من جهة ، ومن جهة اخرى فقد يقود الانسان الى السعي الى اللذة من اجل ذاتها ، الى اتخاذها غاية .

ان سلوكاً كهذا مختص بالانسان ، نابع من طبيعته المتفوقة ، ولكنه كغيره من المسالك الانسانية محفوف بالمخاطر . لم تعد النواميس الطبيعية تسيّر الانسان بشكل حتمي كما هي الحال عند الحيوان الذي تقنن الغرائز سلوكه ، انما تُرك الانسان الى حد بعيد لنفسه ، لاختياره الحر النابع من وعيه لنفسه وللاشياء ، واصبح بمقدوره ان يستخدم هذا السلطان ليرتقي او ينحدر ، ليحرر نفسه او يستعبدها . فاذا عدنا الى ذلك السلوك الذي يتفرد به الانسان ، الا وهو اتخاذ اللذة غاية ، رأيناه سلاحاً ذا حدّين : فقد يكون مصدر غنى للوجود الانساني او بالعكس مصدر انحراف وتهور . فلنأخذ على سبيل المثل مجال الحاجة الى الطعام . لقد كان سعي الانسان الى اللذة من اجل ذاتها في هذا المجال دافعاً له على ابتكار الوان متنوعة من الاطعمة ، وهكذا وُجد الفن المطبخي بكل غناه ، ذلك الفن الذي هو ولا شك كسب حضاري لا يُستهان به[٨] ولكن هذا السعي نفسه قاد الانسان الى مسالك مضرة له ومحطة لكرامته الانسانية . فقد اصبح الانسان يأكل فوق حاجته لمجرد التمتع بلذة الطعام ، فاستقل هكذا السعي الى اللذة تماماً عن الحاجة الغريزية التي هو ملازم ، طبيعياً ، لها ، وبهذا الفصل انقلب هذا السعي على نفسه اذ قاد الى آلام التخمة واوجاع الامراض الناتجة عنها . ومن

جهة اخرى اصبح للطعام عند الكثيرين اهمية بالغة تفوق بكثير دوره الطبيعي حتى انه صار للبعض شغلهم الشاغل محولاً اياهم عن اهتمامات انبل وارقى وعن مهمات انسانية ملحة : هذا ما نرى نموذجاً عنه في ذلك السلوك المحطّ الذي كان يسلكه رومان عصر الانحطاط عندما كانوا يعمدون الى لفظ ما تناولوه من طعام ليعودوا فيجددوا الاكل[109]!

هكذا فالسعي الى اللذة من اجل ذاتها يصبح شاذاً اذا طغى على حاجات الانسان الحقيقية وجعله يهملها وينحرف عنها . عندئذ يصبح هذا السعي نوعاً من السرطان ، فالسرطان في الكيان الانساني كما هو معلوم عبارة عن خلايا طبيعية تتكاثر بشكل مفرط فيختلّ من جراء هذا التكاثر توازن الجسم فيعتلّ ويسير نحو الهلاك ، وكأن جزءاً من الجسم ، باتخاذه اهمية مفرطة ، انقلب على الجسم ككل ليدمّره . هكذا فالسعي الى اللذة من اجل ذاتها امر طبيعي عند الانسان ، ولكنه ، اذا تضخّم وتجاوز الحدود ، انقلب على نفسه وعلى الكيان الانساني .

ولنرَ الآن كيف يمكن للسعي الى اللذة اذا تضخم ، ان يتنكر لاصالة الجنس الانساني . قلنا ان الجنس عند الانسان يتفرد بكونه ، في جوهره ، سعياً الى الآخر بغية اكتمال كل من الشريكين في لقاء صميمي بين شخصيهما . في هذا اللقاء لذة ، ولكن اللقاء ابعد من اللذة واعمق ، لان اللذة فردية بطبيعتها ، اما اللقاء فانه ينشىء وحدة جديدة يتجاوز فيها كل من الشريكين فرديته ، فيندمج « الأنا » و« الانت » في كيان جديد ، هو « النحن » ، الذي فيه يكتملان دون ان يذوب او يمّحي احدهما . ولكن اذا اصبحت اللذة غاية الجنس

الاساسية (لا اقول اذا اصبحت غاية من غاياته ، فهذا امر طبيعي ، ولكن اذا اصبحت الغاية بـأل التعريف) ، لم يعد للآخر من اهمية سوى لكونه اداة لبلوغ اللذة . هكذا لم يعد الآخر غاية بل وسيلة ، وبعبارة اخرى لم يعدشخصاً بل شيئاً . وهكذا يتضح ان طغيان السعي الى اللذة من اجل ذاتها يقوي في الجنس تلك النزعة الاستهلاكية التي رأيناها ملازمة له من حيث كونه حاجة غريزية ، فيلتقي وعي الانسان – الذي هو اساس تمييز اللذة واتخاذها غاية – مع كثافة الغريزة ، ليحولا الجنس عن خطته الانساني الاصيل ، الا وهو السعي الى الشخص الآخر .

ولكن لا بد لهذا التحوير ان يأتي بنتيجته المنطقية ، الا وهي اخفاق الجنس . ذلك ان هدف الجنس عند الانسان هو اللقاء ، المشاركة . ولكن اللقاء ، كما قلنا ، لا يتم الا بين شخص وشخص . الشيء يُستهلك ولكن لا يُتحد به ، يذوب فيّ ولكنه يبقيني في عزلتي . انا لا اكتمل الا اذا تجاوزت ذاتي للقاء الآخر ، ولكن هذا الاخر يغيب اذا اصبح شيئاً يستمتع به ، وأبقى انا فريسة فراغي!! هكذا فانحراف الجنس نحو اعتبار الآخر مجرد متعة يجعله مخطئاً لمرماه الاتحادي وبذلك يحكم عليه بالفشل . هذا الفشل يتجلى في الخيبة التي يُصاب بها المرء اذا سلك هذا الطريق المسدود . قد يحاول اخفاء هذه الخيبة حتى عن نفسه ، لكنها لا محالة حاصلة . ذلك ان الانسان ، اذا توقف عند المتعة الجنسية ، ينتظر منها الملء كل الملء ، ولكنه بعد انتظار متوتر لغبطة خارقة ، لا يحصل الا على لحظة من النشوة تتركه فارغاً كما كان!! هذا هو سر الحزن الذي كثيراً ما يعتري المرء بعد الجماع والذي عبّر عنه

الاقدمون بمثل لاتيني شهير . تلك الخيبة يسهل فهمها على ضوء ما ذكرنا . فالملء الذي تعد به النزعة الجنسية ملء ينتج عن اللقاء بالآخر . ولكن اللذة ، مهما عظمت ، تترك الانسان وحده ، محصوراً ضمن جسده ، اسير عزلته . فاذا كان التركيز عليها ، استحال اللقاء وتبدد بالتالي حلم الاكتمال كأنه سراب وامتدت من جديد صحراء الوحدة المريرة[112]!! الجنس ، اذا انحرف عن خطه الاصيل ، فاشل لا محالة ، لانه عوض الشريك الذي ينشده في قرارة ذاته ، لا يجد سوى جسد لا يروي غليله . هذا ما عبّر عنه الشاعر الكبير طاغور في مقطع رائع :

« امسك بيديها واضمها الى قلبي .
« احاول ان املأ ذراعيّ من سحرها ،
« وأن انهب بقبلاتي عذوبة ابتسامتها ،
« وأن اشرب بعينيّ لحظاتها القاتمة .
« ولكن اواه أين ذلك كله ؟ من يقدر ان يفصل عن السماء زرقتها اللازوردية ؟

« أحاول ان أمسك الجمال . ولكنه يفلت مني ،
« تاركاً جسداً فقط بين يدي
« فأتراجع خائباً ، تعباً :
« كيف يمكن للجسد ان يلمس الزهرة
« التي تطالها الروح وحدها ؟ »[113]

فلنلاحظ في هذا النص استخدام عبارات الاستيلاء والاستهلاك (امسك ، املأ ذراعيّ ، أنهب ، أشرب) التي تشير الى

تلك النزعة الاستهلاكية التي تحوّل الآخر الى شيء وبالتالي تحول دون اللقاء (أحاول ان أمسك الجمال . ولكنه يفلت مني ...)

يعبّر عن المعنى نفسه هذا الحوار بين امرأة ورجل في رواية « انشودة الكون » للكاتب المعاصر جان جيونو . تقول المرأة لعشيقها :

« — لم يكن لك يوماً نظرة تكفيك حدتها لتدخل فيّ ، الى ما هو أبعد من جلدى .

« — نعم ، قال لها باسّون

« — قالت : اتمنى لو ان ذلك صحيح ، ولكن يكفيني ان أنظر الى عينيك لأدري ان ذلك ليس بصحيح . ماذا يمكنك ان تبصر بتلك العينين ؟ لا شيء . لحماً دافئاً ترغب بوضع يدك عليه . هذا كل شيء . ما الذي يدخل فيك عندما تلمسني ؟ هذا الدفء ، جلدي الناعم ، هذا كل شيء . هل تعتقد انك سوف تتمكن يوماً من ان تسمع قليلاً صوت دمي ؟ هذا لن يحدث قط . انك اصمّ ، اصمّ ، اصمّ . بقيت لحظة دون كلام . ثم قالت :

« — واناني ايضاً ...

« — اناني ، أنا ؟

« — قالت : نعم . أذناك وعيناك ويداك أنانية . انك ترى لنفسك ، تسمع لنفسك ، تلمس وتأخذ لنفسك . انك تنظر . ماذا ترى ؟ انك لا ترى شيئاً . انك ترى لنفسك . ترى كل ما يمكن ان يجلب لك ذلك من لذة . لا أكثر من ذلك . »[١١٤]

هـ - بعض مظاهر اخفاق الجنس

ولنستعرض الآن بعض مظاهر اخفاق الجنس هذا بسبب طغيان النزعة الاستهلاكية والسعي الى اللذة .

١ - الاستمناء

ولنرَ أولاً ما يحصل في حال ممارسة الاستمناء ، أي العبث بالاعضاء التناسلية بغية الحصول على اللذة . هنا نرى الجنس ينطوي على نفسه ، مستغنياً بالكلية عن الآخر (على الأقل عن الآخر ككائن حقيقي ، لان صورة الآخر قد تراود الخيال وتساهم في الاثارة الجنسية) . هنا ينحرف الجنس بشكل قطعي عن مرماه الاتحادي اذ يبقى محصوراً ضمن قوقعة الفرد ولذته عوض ان ينطلق نحو الآخر . لذا دُعي الاستمناء بحق باللغة الفرنسية « لذة انعزالية satisfaction solitaire » لان الفرد يحاول ان يحصل به منعزلاً على لذة تنشأ طبيعياً من اللقاء الجنسي[١١٥].

ولكن سبق ان قلنا ان تلك الممارسة تخلّف شعوراً بعدم الارتياح ، انها تنشىء انقباضاً وحزناً ، ذلك لانها تترك الفرد

اسير الفراغ الذي كان يحاول ان ينجـو منه[116]. من هنا ينبغي الانطلاق من اجل تقييم الاستمناء وليس من تلك الخرافات التي روّجها البعض والتي لا تزال شائعة بين الناس ، من ان الاستمناء يهدّم صحة الجسد او يسبب الامراض العقلية[117]!

٢ – الاتصال الجنسي الخالي من أي رباط عاطفي

وقد يمارس المرء نشاطاً جنسياً يبدو لأول وهلة كاملاً لانه اتصال بشريك من الجنس الآخر ، الا ان هذا الشريك يُعتبر أداة لبلوغ اللذة دون ان يقام أي وزن لشخصه او تقام أية علاقـة وجدانية معه . هذا ما يتحقق بشكل بارز في الاتصال ببغي تعتبر مجرد جسد يُشترى وسلعة تُستهلك[118]! ولكنه يتحقق ايضاً في كل اتصال جنسي يتم بمعزل عن علاقة عاطفية بين الشريكين[119] لذة كل منهما هي اذاً في تلك الحال لذة انطوائية تبقي على عزلة الواحد والآخر . هذا مـا صوره لنا الروائي الكبير المعاصر اندره مالرو في شخص فـيّرال ، أحد أبطال روايته « الوضع البشري » ، ذاك الماجن الذي لم يكن يرى في المرأة التي يتصل بها جنسياً سوى « القطب الثاني للذته الخاصة » ، والذي يقول عنه الكاتب : « مجمل الكلام انه لم يكن يضاجع أبـداً سوى ذاته ، ولكنه لم يكن يتمكن من ذلك الا شرط الا يكـون وحده »[120]! ان اتصالاً كهذا لا يتعدى كونه استمناءً مزدوجاً[121]. فلا غرو ، والحالة هذه ، ان يخلف هو ايضاً خيبة وعـدم رضى[122]. هنا قد تنشأ حلقة مفرغة . اذ ان الذين لم يتوصلوا الى اقامة علاقات انسانية اصيلة كثيراً ما يشعرون بحاجة جنسية

ملحة[١٢٣]. يلجأون الى الجنس لجوءهم الى الكحول او المخدرات لينجوا من ألم العزلة . ولكن الاتصالات الجنسية التي يمارسونها ليست مبنية على علاقة انسانية أصيلة ، لذا ليس بمقدورها ان تزيل قلقهم « اذ ان العمل الجنسي بمعزل عن الحب لا يزيل ابداً المسافة بين كائنين بشريين ، الا للحظة فقط »[١٢٤]. لذا يشتد شعورهم بالعزلة مما يدفع الى تجديد المحاولة الفاشلة وهكذا دواليك[١٢٥]!

نذكر هنا على سبيل المثل ملاحظة المحللة النفسية الكبرى هيلين دوتش ، المديرة السابقة لمعهد التحليل النفسي في ڤيينا ، حول فئة من المراهقات اللواتي لم ينضجن على الصعيد العاطفي بل بقين متوقفات عند ذلك الصعيد الاستهلاكي الذي يتميز به الطفل الرضيع . فقد بيّنت ان تلك المراهقات سرعان ما ينقدن الى الاغراء الجنسي بسبب « جوعهن الى اللذة » وليس بدافع ميل حقيقي الى الآخر . أما نتيجة ذلك فهي انهن « فيما يشعرن بالفعل برغبة آكلة ، يبقين باردات اثناء العمل الجنسي . انهن يتمنين بشكل يائس الاتحاد ، ولكنهن يبقين ابداً وحيدات »[١٢٦]

٣ – الاتصال الجنسي المبني على شهوة طاغية

وقد يوجد بين الشريكين شيء من الرباط الوجداني ، ولكن الشهوة تطغى عليه . لذا يحاولان ان يلتقيا ، لكنهما لا يتوصلان الى تحقيق هذا الهدف لان همّ كل منهما ان يستولي على الآخر ليستمتع به ، والاستيلاء يتنافى مع اللقاء[١٢٧]. لذا يبقيان « غريبين أحدهما عن الآخر ، منعزلين كما في السابق ، وقد يخلّف ذلك في نفسيهما شعوراً بالخجل وحتى بالحقد لان الوهم تبدد واذ

بشعورهما بالتباعد قد ازداد حدة عما سبق »[128]. هذا و شيء منه قد يحصل حتى في الزواج[129]! فقد بيّن الدكتور لومير في كتابه عن « الخلافات الزوجية » كيف ان العلاقات الجنسية بين زوجين شابين كثيراً ما تكون لأول وهلة شبيهة الى حد ما بنشاط استمنائي يُعتبر فيه الآخر ، لا شعورياً الى حد ما ، مجرد مصدر للذة ، وانها بالتالي لا تؤول سوى الى مجرد انفراج وقتي وغير كامل . اما اذا تطورت تلك العلاقات واصبحت أكثر نضوجاً واعتبر فيها الآخر شخصاً حراً مستقلاً فان النشاط الجنسي يصبح أكثر انعاشاً وأقل الحاحاً ، حتى ان الامتناع عنه متى تفرضه الظروف لا يعود مصدراً للجزع ، وكأن النوعية تغني الى حد ما عن الكمية[130].

و- إخفاق الجنس في المجون المعاصر

اما اذا انتقلنا من الصعيد الفردي الى الصعيد الجماعي فاننا نجد عن اخفاق الجنس نماذج صارخـــة في المجتمع الحديث . فقد اراد هذا المجتمع ان « يحرّر » الجنس . وبالواقع حرّره من قيود التزمت الخانقة ، من الصمت والجهل والخوف ، واعاد له اعتباره[١٣١] لقد شاء الانسان الحديث بحق ان يتعهد طاقته الجنسية بوعـي عوض ان يسلم زمامها للتقاليد والعادات المألوفة . بهـذا المعنى كتب الدكتور شوشار : « ان الانسانية ، وقد اصبحت راشدة، تسلمت زمام مصيرها واخذت تتساءل لاول مرة ، متجـاوزة العادات المألوفة ، كيف يجب ان يكون جنس انساني . »[١٣٢] ولكن تحرير الجنس لا يكون اصيلاً الا اذا كان الانسان نفسه حراً في اعماقه[١٣٣]، والا انتقل الجنس من عبودية الى عبودية ، فاستعبد للغريزة الغاشمة[١٣٤] بعد ان كان مستعبداً لتقاليد اجتماعية خانقة . الا ان الانسان الحديث – ذاك الذي شاء بحق ان يحرر الجنس – بعيد هو نفسه ، في كثير من الاحيان ، عن الحرية . ذلك انه قد تحول في كثير من الاحيان ، كما بيّن ماركـوز مثلاً ، الى اداة انتاج واستهلاك[١٣٥]، تتحكّم فيه مصالح الرأسمالية وبوروقراطية الدول والاحزاب[١٣٦]، وقد سُخر عمله لمقتضيات الآلة فأصبح آلياً ،

بجزء"ا ، لا طعم له ولا معنى ، واخضع هـــو للدعاية تقولب فكره وحاجاته بما اوتيت من وسائل قـــوية صحفية واذاعية وتلفزيونية وسينمائية وغيرها[١٣٧]. وهو الى ذلــك اسير العزلة التي اوجدها تضخم المدن في المجتمع الصناعي ، تلك المدن التي يشكو فيها المرء من العزلة وسط الجماهير كما بيّن ريسمان في كتابه الشهير « الجمهور الوحيد » (The Lonely Crowd)[١٣٨]. وفوق ذلك، كله فأن تقلص الايمان الحي بالله وبالقيم عند الكثيرين اغلــق عليهم في دوامة الفراغ واللامعنى[١٣٩]. تلك العوامل كلها ادت الى اغتراب انسان المجتمع الصناعي الحديث عـن حقيقته الانسانية aliénation[١٤٠]. فكان لا بد لهذا الاغتراب من ان يعبر عنه على صعيد الجنس نفسه ، نظراً للارتباط الصميمي الذي اشرنا اليه بين الجنس والشخص الانساني ككل" . ان اغتراب الانسان عن حقيقته الانسانية يقود الى اغتراب الجنس عن معناه الانساني . فالانسان الذي طبعته الآليّة كيف لا يحوّل الجنس الى عمـل آلي"؟[١٤١] والانسان الذي يعاني من الشعور باللامعنى كيف يستطيع ان يعطي معنى للاتصال الجنسي ؟ انه ينزع بالاحرى الى اعتباره « ملهاة » ينسى فيها ولو للحظات اللامعنى الـــذي يكتنف حياته وموته[١٤٢]! من تحكم به الجزع يتقهقر انفعالياً الى وضع الطفل ويحاول عبثاً ان يداوي جزعه على طريقة الطفل . فكما ان الطفل كان ينجو من جزعه برضاعة ثدي الام ، هكذا يحاول الراشد الجزِع دون جدوى ان « يستهلك » ما امكنه ليخرج من دوامة الجزع . ولنا نموذج على ذلك سبق وذكرناه ، وهو السلوك الشائــع الذي يسلكه الكثيرون اذ يقبلون بنهم على الطعام اذا اصيبوا بصدمة عاطفية قوية . شيء مماثل يجري عـــلى صعيد الجنس . فالانسان الحديث يقبل على الاستهلاك بشتى انواعه ،

بما فيه استهلاك الجنس ، محاولاً بذلك ان يداوي جزعه[١٤٣].
لقد كتبت اوديت تيبو في مقال لها في جريدة « الشهادة المسيحية » الفرنسية ، ما يلي : « الواقع ان في مجتمعنا المدعو بحق مجتمع « استهلاك » ... الجنس ايضاً ، الجنس خاصة ، يُستهلك ، والناس يقبلون على بيعه وشرائه . اننا في حضارة « كمّية » ، الناس فيها يبتلعون ، خاصة بعيونهم[١٤٤]... »[١٤٥]. هذا الموقف « الاستهلاكي » في الجنس يثبته التلازم الشائع في الدعاية الحديثة بين الدعوة الى استهلاك هذا او ذاك من منتوجات الصناعة ، من المواد الغذائية الى السيارات ، وصور الاغراء الجنسي[١٤٦].

هكذا بُتر الجنس عند الكثيرين من بُعده الاتحادي واعتبر مادة تُستهلك كما تُستهلك الكحول ومتعة تُقصد من اجل ذاتها بغية تخدير الشعور بالجزع والفراغ . ولكن هذا الموقف كانت له نتائج مفجعة على الصعيد الجنسي نفسه . فقد اصبح الاتصال الجنسي سهلاً للغاية ولكنه اصبح تافهاً بآن ، لا معنى له[١٤٧]، اذ أُفرغ من معناه الانساني العميق ، معنى اللقاء بالآخر[١٤٨]. ولكن هذه التفاهة جرّدت العمل الجنسي من كثافته ، افقدته زخمه العاطفي[١٤٩]، حولته الى مجرد انتفاضة اجساد ، لا فرح فيها وحتى لا لذة حقيقية[١٥٠]، اذ ان اللذة الجنسية نفسها ليست عند الانسان مجرد نتيجة لنشاط بيولوجي انما هي نابعة من المشاركة الوجدانية[١٥١]. بهذا المعنى كتب المحلل النفسي المعاصر الدكتور جيرار منديل : « ان المجون ... يسمح ... بشيء من اللذة اثناء العمل الجنسي ولكنه يحصر هزة الجماع بمجرد اطلاق للطاقة وتخفيض للتوتر النفسي الداخلي ، مما هو بعيد جداً عن المتعة الجنسية الحقيقية »[١٥٢]. هكذا ينقلب المجون على الجنس نفسه فيهدده بالانحلال[١٥٣]. لقد لاحظ المحللون النفسيون الاميركيون ان

الهوس الجنسي الناتج عن الكبت هو في طريق الاضمحلال الا ان عوارض أخرى اخذت تبرز وتحتل مكانه ، فان زبائنهم يشكون أكثر فأكثر من عجزهم عن المشاركة العاطفية الصميمية في العمل الجنسي[١٥٤]. تلك هي النتيجة الطبيعة لتفاهة العمل الجنسي اذا بُتر من بعده الاتحادي . ان المجون المعاصر ، وقد قُصد به الهروب من الفراغ والعزلة ، لا يزيلها انما هو على العكس يؤكدهما . لذا فالسأم يلازم ممارسته كما يتضح لنا من مطالعة روايات معاصرة كروايات فرنسواز ساغان او باميلامور او البيرتو مورافيا[١٥٥]. والسأم عبارة « جهنمية » ، على حد تعبير الفيلسوف واللاهوتي المعاصر بول افدوكيموف ، عن سطحية الوجود . انه ، يقول المحللون النفسيون ، نتيجة انعدام الالتزام العاطفي[١٥٦]. الجنس المركّز على المتعة وحدها كما هو شائع في العالم الحديث ، هو لا محالة قائد الى السأم لانه لا يفسح المجال أمام هذا الالتزام[١٥٧]! لذا فقد يملّ المرء منه ويسعى الى مثيرات اخرى علّه يجد فيها وسيلة انجع للهروب .

هكذا تفسر تلك الظاهرة التي روتها الصحف منذ بضع سنوات . فقد أثبت تحقيق أجراه فريق من الاخصائيين النفسيين بين طلاب عدة جامعات من نيويورك ونيوجرسي ، ان «المخدرات تتمتع بعطف متزايد بين الطلاب وان هؤلاء يفضلونها ، على ما يبدو ، على ممارسة العلاقات الجنسية ، بغية ملء أوقات فراغهم» ، فقد عبّر الطلاب المستجوبون « عن شي من اللامبالاة تجاه العلاقات الجنسية التي هي ، بالنسبة اليهم ، قليلة الاثارة لانها سهلة المنال ، في متناول الجميع ، معتبرة كأمر عادي ، وقد فقدت جاذبيتها القديمة »[١٥٨]! ومن جهة أخرى فقد وصفت هيلين دوتش السلوك الجنسي في بعض فئات المراهقين في الولايات

المتحدة . لقد انطلق هؤلاء المراهقون في دروب « الثورة الجنسية » يتحدون بها المجتمع ، فاطلقوا للغريزة العنان وطرحوا جانباً العناصر العاطفية التي من شأنها ان تهذّب تلك الغريزة . ولكن نتيجة هذا الموقف كانت ، تقول هيلين دوتش ، « كارثة نفسية » : « انني لم أشاهد قط شباناً وشابات تبدو على ملامحهم التعاسة أكثر من هؤلاء ... (انهم) يتألمون بشكل واضح من الحرمان العاطفي وبالتالي من فقدان طعم تلك الاثارة الجنسية التي يزعمون انها حرة ولا محدودة . ان حالات ادمان المخدرات بينهم – وخاصة حالات التسمم بأل.س.د. التي اتيح لي ان ألاحظها – بيّنت لي بوضوح ان الاشباع الجنسي ، وقد أصبح بالنسبة لهؤلاء الشبان في مقتبل عمرهم غاية في السهولة والتكرار، لا يجلب لهم أي اكتمال عاطفي حقيقي . ان تهالكهم في السعي وراء أساليب تسمح بزيادة اللذة في الخبرة الجنسية يظهر دون ريب ان الحرية الجنسية عند مراهقينا هؤلاء لا تقدم لهم عنصر النشوة الذي هو ملازم – أو يفترض ان يكون هكذا – لأحدى الخبرات الانسانية الاكثر انعاشاً ... كون الخبرة الجنسية تبقى شيئاً ناقصاً بالنسبة لهم ، هذا ما تعبر عنه ليس فقط حاجتهم الى المخدرات بل اهتمامهم المتزايد بالانحرافات الجنسية ايضاً »[١٥٩].

وقد توقع فرويد تلك الظاهرة عندما كتب في مقال له سنة ١٩١٠ ، في عهد كان يسوده الكبت الجنسي ، ما يلي : « مما يسهل ملاحظته هو ان القيمة النفسية لحاجة الحب تنخفض اذا كان اشباع هذه الحاجة سهل المنال ... هذا صحيح بالنسبة للافراد كما هو صحيح بالنسبة للشعوب . ففي العهود التي لم يكن

فيها ارواء الحب مقيداً ، مثلاً في زمن انحطاط الحضارة القديمة ، فقد الحب كل قيمته وبدا الوجود فارغاً ... »[١٦٠]. تفسير تلك الظاهرة بموجب قاعدة « كل محجوب مرغوب » لا يبدو لنا كافياً البتة ، ذلك ان ما يلي في الانسان رغبة أساسية قد تزداد جاذبيته اذا حُجب ولكنه لا يفقدها اذا لم يُحجَب . فالطعام يبدو أكثر شهية للمحروم منه ، ولكنه لا يزال يثير شهية من يتوفر لديه[١٦١]! كذلك قل عن الحرية التي تبدو للسجين أثمن ما في الوجود ولكنها تستهوي الطليق أيضاً . هكذا فالامر يبدو لنا أعمق من مجرد تأثير سهولة الممارسة الجنسية او صعوبتها . القضية هي بالأحرى ، ودون ان نهمل اثر العامل السابق ذكره ، قضية تشويه معنى الجنس ، هذا التشويه الذي ليست سهولة ممارسة الجنس سوى نتيجته . وبعبارة اخرى ان سر فقدان الجنس لقيمته الانفعالية يكمن خاصة في تجريده عن مرماه الاتحادي .

هكذا يتضح ان المجون المعاصر ، بتأكيده على الاستهلاك والمتعة ، لم يُبطل شخص الآخر وحسب في السعي الجنسي ، ولكنه حكم على السعي نفسه بالتفاهة ، كأن التركيز على اللذة يحكم على اللذة نفسها بسطحية مخيّبة مملة[١٦٢]. من هنا نشأت محاولات يائسة للخروج من دوّامة الفراغ هذه ، الا وهي التهالك على الجنس كأن كمية ممارسته تغني عن نوعيتها[١٦٣] او التفنن في اساليب الاتصال الجنسي لدرجة الانحراف احياناً كأن هناك تقنية جنسية تغني عن ضرورة اللقاء الشخصي . هكذا « يندفع الانسان في عراك مرهق ضد هزالة اللذة » ، ولكنه لا يفلح لان اللذة الجنسية ، اذا حُصرت في حدودها الغريزية ، هزيلة لا محالة ، ولا يمكن تحسينها الا بشكل محدود جداً[١٦٤]. وقد بيّن

بعض كبار الاخصائيين كفروم ودويكارتس الوهم الكامن وراء الاعتقاد بأن التقنية اساس السعادة الجنسية . يقول اريك فروم ان هذا الاعتقاد « جزء من الوهم العام السائد في عصرنا ، الا وهو انه يكفي استعمال الاساليب التقنية المناسبة لحل كل المشاكل ، لا مشاكل الانتاج الصناعي وحسب بل المشاكل الانسانية برمتها ... الحقيقة هي على نقيض هذا الافتراض . ليس الحب ناتجاً عن علاقات جنسية موفقة ، ولكن السعادة الجنسية ... ناتجة عن الحب »[١٦٥]، اي عن لقاء صميمي شامل بين شخصين . صحيح ان للتقنية شيئاً من الاهمية[١٦٦]، ولكن شرط ان يلهمها هذا المسعى الاتحـادي ، عندئذ لم تعد تقنية بالمعنى الصحيح بل تعبير عن قصد لقاء . لان التقنية بمعناها الصحيح تسخير للاشياء ، فاذا استعملت في الجنس على هذا المنوال شيأت الاخر وبالتالي اسرت المرء في قوقعة لذته الانعزالية . يقول الفيلسوف المعاصر جان بول شارييه :« الجنس لغة يتصل بها الشريكان وليس تقنية يقصد منها المرء ان يستمد من جسده متعاً انعزالية تعزله اكثر فاكثر عن الاخر »[١٦٧]. وقد كتب فرانسوا شيرباز في المقال الذي سبق ان استشهدنا به ان الجنس « ينحط وينحرف عندما لا يعني شيئاً . وهو لا يعني شيئاً عندما يسعى الى ذاته ولا يستهدف سوى لذته الخاصة . اذا اصبح مجرد تفتيش عن احاسيس شخصية ، لم يعد سوى تقنية جوفاء لا تتجاوز ذاتها نحو اي شيء لانها لا تتوجه الى احد . انه لا يتوجه الى احد لأن كيان الاخر لا يهمه : كيان الاخر لا وجود حقيقي له بالنسبة اليه ، ليس الآخر الا في جسده ومن اجلي انا ، حجة ومناسبة للذتي »[١٦٨].

مجمل الكلام ان محاولات المجون المعاصر مداراة اخفاقه باللجوء الى الكمية والتقنية محكوم عليها بالفشل لانها تتغاضى عن اساس

المشكلة ، الا وهو ان الجنس لا حظ له بتحقيق ما يعد به من سعادة الا اذا كان بالفعل متجهاً الى الآخر .

لنا في احدى الروايات المعاصرة ، وهي « راحة المحارب » لكريستيان روشفور ، نموذج بليغ عن اخفاق الجنس الذي نحن بصدده . نرى رينو يتهالك على ممارسة الجنس مع جنفياف التي اغواها . يعتبرها مأكلاً « يستهلكه » بتواتر ونهم[١٦٩]. ولكنه يبقى في عزلة مريرة[١٧٠] يحاول ان ينساها بالشرب المتواصل . وقد عبّر عن فشله الذريع بقوله : « المنهم في المجون انما هو الاله ، وليس اللذة ، ولكن الاله لم يزل غائباً »[١٧١]. تلك العبارات تعبّر تمام التعبير عن مأساة الجنس اذا تركـّز على المتعة : فالرغبة العميقة الكامنة في الجنس تتجاوز اللذة لانها ، من خلال اللذة ، تصبو الى ملء لا يوصف (هذا ما عبّر عنه رينو بقوله ان المقصود في المجون هو « الاله ») ، ولكن التركيز على اللذة يفقد هذه الاخيرة عمقها ، يجعلها غير مطلّة على شيء ، وبذلك يحولها الى خيبة وسأم . هذا ما عبّر عنه فرانسوا شيرباز في مقال هام جداً له نُشر في مجلة Etudes ، عدد آذار ١٩٦٩ ، بعنوان « ابعاد الجنس »[١٧٢]. قال متحدثاً عن « الثورة الجنسية الحديثة » : « انها ترد واقع الجنس الى دائرة اللذة وحسب ولكن اللذة ليست المعنى كله . ما يعطي اللذة معنى ، ما يقيمها في معناها ، هو اللقاء الذي تدعو اللذة اليه وتستدعيه . لذا فرفضنا اعتبار اللذة ارواءً كافياً للرغبة ليس هو اطلاقاً رفض اللذة بحد ذاتها ، انما هو تأكيد على ان الرغبة تستهدف ، ما وراء اللذة ، ملء لا يؤسس الا على لقاء آخر في كيانه الشخصي »[١٧٣].

حواشي الفصل الأول

١ — راجع :

Yvon Brès : L'Ethique devant la sexualite, in «Esprit», novembre 1960, pp. 1826-1827.

٢ — تلك الثنائية كثيرا ما تلهم التزمت على الصعيد الجنسي ، ولكنها قد تبرر الاباحية ايضا . هـذا ما يتضـح من رواية خليل تقي الدين : « العائد » . فسلمـان ، بطل هذه الـرواية ، يؤمن بالتقمص ، وقد اقنعته ظواهر غريبة بأن شخصا قد تقمص فيه ، وبالتالي بأن جسده الحالي ليس سوى قميص ترتديه روحه لفترة من الزمن ، كما ارتدت قبله سابقا ، الى ان تخلعه بدوره وترتدي سواه . من هنا استنتج انه ، طالما ان جسده هذا ليس سوى معبر تمر به الروح برهة لتتخذ بعدئذ غيره ، فهو يستطيع ان يتصرف به كما يشاء وان يستنفد كل ما يمكن ان يحويه هـذا الجسـد من ملذات :

« قال سلمان لنفسه : لاسلبن جسدي نخره قبـل ان ييبس ويشيخ ! واستنفدن عصارة الحياة منه ! فما دامت روحي ستخلعه عندما يصبح عاجزا عن القيام باعبائها ، واشباع رغباتها ، فلتكن حياتي « هذه » سباقا بين جسدي وروحي ، ولذاذات الجسد هي الرهان ... » .

« سأفعل بجسدي ما اريد ، ما دام سيؤول الى التـراب . وتبقى نفسي ، او روحي ، او ما شاء ان يسميها الناس ، ملكا لمن سيأتون بعدي » .

خليل تقي الدين : العائد ، ص ٦٠ و ٦٦ ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٦٨ .

٣ — تقول مفكرة بلجيكية معاصرة :

« للجسد الانساني قيمة بحد ذاته ، الا وهي التعبيرية . انه **الشخص المظهر** وبهذا المعنى الراقي ينبغي ملاحظته وفهمه واحترامه وتقييمه ... انه ... « داخلية مبانة » ... » .

Marie-Thérèse Van Eeckhout : Nos enfants devant la sexualité, p. 131, Ed. Casterman, Tournai, 1966.

راجع ايضا :

Claude Tresmontant : Le Problème de l'Ame.
Ernest Eil : De l'Enfant à l'Adulte, pp. 11-13.

٤ ـ راجع :

Dr. André Arthus : Adolescence, pp. 80-81, 179-180, Les Editions Ouvrières, Paris, 1967.

٥ ـ راجع :

Francis Jeanson : Sartre par lui-même, p. 186, note 1, Ed. du Seuil, Paris ,1964.

Jean-Paul Sartre : Les Mains Sales, «Le livre de poche».

وفي الخط نفسه ، بين العالم الاجتماعي الشهير مالينوفسكي ، في دراسته لسلوك شعب جزيرة تروبريان ، كيف ان الجوع يتخذ في نظر هذا الشعب طابعا مخجلا . راجع :

B. Malinowski : La Vie Sexuelle des sauvages du Nord-Ouest de la Mélanésie, pp. 315-316, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1970.

٦ ـ لقد صور لنا الروائيون من جهتهم هذه الظاهرة الشائعة . وهاك نموذجان عن ذلك . احدهما مأخوذ من روايـة « سافو » لالفونس دوديه ، يصف لنا فيه الكاتب امرأة شابة تركها عشيقها ، واذا بها تعبر عن يأسها على النمط التالي : دعاها زوجان صديقان الى مائدتهما وفيما كانا ينتظران منها بقلق تعبيرا عنيفا جديدا عن حزنها ، « دهشا جدا لمشاهدتها تنقض بنهم ، دون ان تنبس بكلمة ، على الاطباق ، كأنها غريق ، تسد فجوة حزنها ، وحدة صراخها بكل ما تجده في متناولها ... انها تأكل وتأكل ... » .

Alphonse Daudet : Sapho, p. 215, Les meilleurs livres français, 1950.

وهاك صورة اخرى رسمها روجيه مرتان دي غار عن امرأة تعوض بشراهتها عن تعاسة زواجها وتحطيم حياتها العاطفية :

«لقد كان لشراهتها طابعا ملحاحا ، مشبوبا ، كانت بسببه تكاد ان لا تكون منفرة : لقد كان هذا النهم يبدو وكانه الثأر والملجأ لكل اشواق امرأة ... » .

Roger Martin du Gard : Confidence africaine, p. 41, «La Petite Ourse», La Guilde du Livre, Lausanne, 1964.

٧ ـ يقول المحلل النفسي الدكتور اندره برج عن السعاري ، وهو المصاب بجوع مرضي ، انه « يملأ معدته ليسد فراغ قلبه » .

Dr. André Berge : Le Métier de Parent, p. 106, Ed. Aubier-Montaigne, Paris, 1956.

وفي كتاب آخر له ، يقول :

« ان اضطرابات الشهية كثيرا ما لها علاقات بالشعور العميق. لقد قيل ان البعض يحشون معدتهم « ليملأوا فراغ قلبهم » ، وهذا

صحيح » .

Dr. André Berge : Les Défauts de l'Enfant, p. 126, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1968.

راجع ايضا :

Gérard-Philippe Guasch : La Mort du Père, p. 55, in L'Ecole des Parents, avril 1969.

٨ — راجع :

Dr. Karen Horney : L'Auto-analyse, pp. 136-137, Ed. Gonthier, Paris, 1966.

Franz Alexander : La Médecine psychosomatique, pp. 68-96, Petite Bibliothèque Payot, 1962.

٩ — راجع :

Maurice Merleau-Ponty : Phénoménologie de la perception, pp. 180-202, NRF, Gallimard، Paris, 1952.

١٠ — هذا صحيح حتى بالنسبة للشعوب التي تسمى «بدائية». فقد بين مالينوفسكي مثلا ان الجنس ، عند « بدائيي » جزر المحيط الهادىء ، ليس مجرد قضية فيزيولوجية ، بل ان له ابعادا روحية واجتماعية وحضارية . راجع :

B. Malinowski : La Vie Sexuelle des Sauvages du Nord-Ouest de la Mélanésie, pp. 11-12.

١١ — « ان النشاط الجنسي الانساني يتميز عما هو عليه عند الحيوان بكونه مرتبط بالعاطفة اكثر من ارتباطه بفعل الهرمونات ، ذلك الفعل الذي يبدو ، حتى حين ممارسة العلاقة الجنسية ، خاضعا للحياة العاطفية . اما جذور هذه الاخيرة فهي في الطفولة » .

Jacqueline Bergeret : Suite pour Eve, La Femme et sa Psychanalyse, p. 56, Le Centurion, Paris, 1973.

١٢ — يقول احد الاخصائيين المعاصرين في الجنس ، الدكتور جيلبير تورجمان : « لقد توصل الرجل الراشد ، الى حد ما ، الى التحرر من الوصاية الهورمونية » ، وفي موضع آخر يقول : « في فترة البلوغ هذه ، وبالاحرى في سن الرشد ، يظهر تأثير الهورمونات على السلوك الجنسي شيئا لا يــذكر اذا قيس بالشروط النفسية وبالمؤثرات الاجتماعية والحضارية » . راجع :

Gilbert Tordjman : Clefs pour la Sexologie, pp. 97-98, Ed. Seghers, Paris, 1972.

١٣ — راجع :

Dr. Paul Chauchard : La Vie Sexuelle, 5e édition revue, p. 30, P.U.F., Paris, 1966.

« في الغريزة الجنسية الانسانية ، تلعب العوامل النفسية دورا اكبر من العوامل البيولوجية » (بوهلر) .

Oswalt Kolle : Expérience de l'amour moderne, p. 305.

Ed. Robert Laffont, Paris, 1970.

وقد اوضح فرويد هذا البعد النفسي الهام في الجنس الانساني، قائلا في مقال كتبه سنة ١٩١٠ :

« . . . نفضل ان نتكلم عن الجنس النفسي psycho-sexualité ، لنؤكد انه لا يجب اهمال العامل النفسي او ان نبخس قيمته . اننا نستخدم كلمة « جنس » ناسبين لها المعنى الواسع الـذي للكلمة الالمانية liebeu (احب) ، ونعرف منذ زمن طويل ان نقصا في الاشباع النفسي ، مع كل ما يتبعه من نتائج ، يمكن ان يوجد حتى في الحالات التي تتوفر فيها العلاقات الجنسية الطبيعية » .

S. Freud : A propos de la psychanalyse dite «sauvage», p. 37, in La Technique Psychanalytique, P.U.F. Paris, 1970.

هذا ما نجد صدى له عند المحلل النفسي المعاصر ، كريستيان دافيد ، اذ يقول في دراسة له عن الحب من منظار التحليل النفسي :

« ان جنسا مفتقرا ومبتورا من مقوماته النفسية انما هو . . . جنس محدود بالضرورة من جهة امكانياته المتعية كما ومن جهة قيمته الوظائفية (. . .) ان الجنس الانساني ، من حيث نـزعته ، رصين وعميق . . . » .

Christian David :. L'Etat Amoureux. Essais Psychanalytiques, pp. 170-171, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1971.

ولا عجب في ذلك . فان التكوين البيولوجي نفسه ، الذي ينفرد به الانسان ، يخضع الغريزة للمراكز العصبيـة العليا ، وبالتـالي للعوامل النفسية التي ترتكز الى هذه المراكز . هذا ما تـوضحه اخصائية معاصرة في علم الحياة ، اوديت تيبو ، اذ تقول :

« كلما ارتقينا في السلم الحيوانية ، شاهدنا نـوعا من انحلال الغريزة لصالح نمو المراكز العصبية » . راجع :

Odette Thibault : Le Couple Aujourd'hui, pp. 15-17, Casterman, Tournai, 1971.

١٤ — راجع :

Dr. P. Chauchard, op. cit., pp. 29-30.

من اجل تدقيق اوفر في هذا الموضوع ، راجع :

C.S. Ford et F.A. Beach : Le Comportement sexuel chez l'Homme et l'Animal, pp. 285-301, Robert Laffont, Paris, 1970.

١٥ — راجع :

Marc Oraison : Le Mystère humain de la sexualité, p. 63, Ed. du Seuil, Paris, 1966.

« عند الحيوانات الراقية ، تظهـر عنـد الانثـى ، في لحظة

نضج البويضة ، افرازات جنسية . هذه الافرازات تثير الاندفاع الجنسي عند الذكر ونشاطه الفاتح وفي هذه الفترات وحدها تظهر الانثى متقبلة لرغبة الذكر . . . » .

Hélène Deutsch : La Psychologie des Femmes, tome I, Enfance et Adolescence, p. 192, PUF, Paris, 1959.

من اجل تدقيق اوفر في هذا الموضوع ، راجع :

C.S. Ford et F.A. Beach : op. cit., pp. 261-272.

١٦ — راجع :

Oswalt Kolle : Ton mari cet inconnu, p. 170, Ed. Casterman, Paris, 1969.

١٧ — راجع :

Marc Oraison : Le Célibat, deuxième édition, pp. 33-34, Ed. du Centurion, 1966.

يقول الكاتب نفسه في مؤلف آخر :

« ليست الاثارة وليدة تراكم المني ، بل العكس هو الصحيح » .

راجع :

Marc Oraison : L'Harmonie du Couple humain, p. 12, Les Editions Ouvrières, Paris, 1968.

وبالمعنى نفسه يقول جورج موكو :

« ان تكوين المني عند الانسان مرتبط بالاثارة المغذاة . . . » .

Georges Mauco : Les Célibataires et le Célibat, p. 17, Aubier-Montaigne, Paris, 1973.

ويقول الدكتور بول له مول :

« . . . ان الاثارة الجنسية هي ، في الاكثرية الساحقة من الحالات ، قضية عوامل نفسية اكثر بكثير مما هي قضية هورمون » .

Dr. Paul Le Moal : La Morale sexuelle contestée, p. 48, in «L'Ecole des Parents», décembre 1969.

١٨ — راجع :

Marc Oraison : Le Mystère humain de la sexualité, p. 63.

في كتاب شهير وضعاه عن « السلوك الجنسي عند الانسان والحيوان » ، يستعرض فورد وبيتش نتائج ابحاث اجريت حول ارتباط الميل الجنسي بالعوامل الهورمونية عند انثى الحيوان وانثى الانسان . فيذكران اولا بحثا قام به البحاثان يركس والدر على اناث الشنبنزي ، اذ شجعا مزاوجة ثلاثة من الذكور وتسع من الاناث في كل مراحل الدورة الجنسية للانثى . وقد حصلا هكذا على ١٧٤ مزاوجة لم تتوزع بالتعادل على المراحل الخمس التي تتكون منها هذه الدورة . فبالعكس جرت ٨،٣ ٪ فقط من المزاوجات في المرحلة السابقة للحيض و ١٢،٢ ٪ منها اثناء الحيض او بعده

فورا . اما الحد الاعلى من المزاوجات فقد تم عنـدما كان اطلاق البويضة وشيكا .

ثم يستشهد المؤلفـان ببحثين علميين اجـريا عن النسـاء الاميركيات ، احدهما اجرته كاترين دافيس التي استجـوبت ٢٨٧ امراة والثاني اجراه تيرمان وشمل ٦١٩ زوجة . وقد اظهرت هاتان الدراستان ان ذروة الرغبة الجنسية تحصل في اغلب الاحوال يوما قبل او يوما بعد فترة الحيض ، وفي اقل الاحوال في الفترة التي يكون فيها اطلاق البويضة وشيكا والتي يفرز فيها المبيضان الحد الاعلى من الهرمون الجنسية .

C.S. Ford et F.A. Beach : op. cit., pp. 267-368.

ويذكر الكاتب الالماني اوسفالت كوله ان الباحثين الاميركيين بنديك وروبنستين . بعد ان قاما بدراسة واسعة لسلوك المراة ، واحلامها . وحالتها النفسية وحاجاتها ، بالمقارنة مع مراحل دورتها الجنسية ، لاحظا ان الحاجة الجنسية عند المـراة بارزة في الفترة التي تسبق الحيض اكثر منها في اي وقت آخر من الدورة .

Oswalt Kolle : Ta femme cette inconnue, pp. 100-102, Casterman, Tournai, 1970.

راجع ايضا :

Hélène Deutsch : Psychologie des Femmes, tome I, p. 192.

١٩ — راجع :

M. Oraison : Le Mystère humain de la sexualité, p 63.

يقول فورد وبيتش في كتابهما السابق ذكره :

« ان اهمية العوامل غير الفيزيولوجيه ، المتزايـدة تطويريا ، والتي اصبحت بديهية عند القرود وما يشبه منهـا الانسان ، تنمو بشكل كبير في النوع البشري » . وايضا :

« ان الارتباط بين الخصب وقابلية التقبل الجنسي اقل وضوحا عند المقدمات primates الادنى من الانسان (مما هو عند اناث الثدييات الدنيا) وقد تلاشى بالكلية عند المـراة . مما يـدعو الى الاعتقاد بارتخاء . يتزايد تدريجيا مع التطور ، للسيطرة الهورمونية على الميل الجنسي الانثوي » .

C.S. Ford et F.A. Beach : op. cit., pp. 267 et 281.

ويقول الدكتور توردجمان في الموضوع نفسه :

« ... ان العوامل النفسية العاطفية ... تتجاوز ، في النوع البشري ، الوظيفة البيولوجية » .

G. Tordjman : Clefs pour la Sexologie, p. 115.

راجع ايضا :

Henry Tavoillot : Une expérience d'éducation sexuelle,

pp. 179-182, Ed. Aubier-Montaigne, Paris, 1969.

٢٠ ــ راجع :

Jean Lacroix : Force et Faiblesses de la famille, p. 95, note 2, Ed. du Seuil, Paris, 1957.

٢١ ــ راجع :

François Duyckaerts : La Formation du lien sexuel, cinquième édition, p 315, Editions Charles Dessart, Bruxelles, 1964.

يقول فرويد عن النزعة الجنسية انها « اكثر استمرارية عند الانسان اذ انها انتصرت عنده بشكل شبه كلي على الدورية التي يبدو انها خاضعة لها عند الحيوانات » .

S. Freud : La Morale sexuelle civilisée et la maladie nerveuse des temps modernes, p. 33, in La Vie Sexuelle, P.U.F., Paris, 1970.

ومما يثبت ذلك ــ الى جانب الشواهد التي سبق وذكرناها (راجع الحاشية ١٨) ــ الظاهرتان التاليتان :

١ ــ ان فترة الحمل تتميز بانخفاض في افراز الهورمونات الجنسية عند المراة ، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة انتقاصا للميل الجنسي عندها . لا بل قد لاحظ الاخصائي الاميركي في الجنس ، وليم ماسترس ، في دراسة اجراها على ١١١ امراة حامل ، ان الميل الجنسي تنخفض حدته عند اكثرهن في الاشهر الثلاثة الاولى والاشهر الثلاثة الاخيرة من الحمل ، ولكنه ، عند ٩٢ امراة من اصل ١١١ ، يزداد قوه ، في الثلث الثاني . بالنسبة لما كان عليه قبل الحمل . وعلى وجه العموم يمكن ان نقول مع اوسفالت كوله ــ وهو كاتب الماني ذو خبرة واسعة جدا في الارشاد الزوجي ــ الذي يستشهد بدراسة ماسترس المذكورة اعلاه :

« لا يمكن ان نفسر من وجهة نظر طبية بحتة كون بعض النساء يرفضن كل نشاط جنسي اثناء فترة الحمل بينما تبدي نساء اخريات اندفاعا جنسيا اكبر وتشتقين عندما لا يقدر ازواجهن او لا يريدون ان يستجيبوا له ... »

« ان انخفاض الحاجات الجنسية ، او حتى تلاشيها ، مرتبط صميميا بموقف المراة النفسي . ويتأثر ذلك الموقف بقوى واعية ولا واعية ، منها مثلا تأثر المراة برأي اجتماعي لا يرى للعلاقة الجنسية من مبرر سوى الانجاب ، او رفض خفي للجنس عند المراة يجعلها « تستخدم » الرجل بقصد الانجاب فقط ثم ترفضه بعد تحقيق امنيتها هذه ... » .

Oswalt Kolle : Expérience de l'amour moderne, pp. 167-171.

٢ — ان فترة الاياس ménopause عند المـــراة ، التي يتوقف فيها افراز الهورمونات الجنسية ، ليست بالضرورة فتــرة تضاؤل للرغبة الجنسية . يقول الدكتور توردجمان :

« ... ان المراة في فترة الاياس ... بامكانها ان تحتفظ بذات الفاعلية الجنسية شرط ان تقبل بتصورها الجسدي schéma corporel الجديد وان ترفض الاسطورة التي تنــزع ، حتى في ايامنا هذه ، الى المحافظة على الاختلاط بين الامومة والانوثة » .

G. Tordjman : Clefs pour la Sexologie, p. 98.

لا بل يقول اوسفالت كوله :

« يروى ان كثيرا من النساء لا يعرفن ذروة النشوة الجنسية الا في نهاية فترة الاياس ، فتستمر عندهن حتى سن متقدم ... » .

Oswalt Kolle : Expérience de l'amour moderne, p. 369.

وقد يكون هذا عائدا الى ان المراة ، في فتــرة الخصب ، كانت تكبت رغبتها الجنسية خوفا من الحمل . فاذا زال مبرر هذا الخوف بانقطاع القدرة على الانجـــاب ، انطلقت الــرغبة المكبوتة على سجيتها . هذا ما يصوره لنا الروائي الاميركي المعاصر تنسي وليمز عند سيدة اميركية ، مسز ستون :

« تلك الرغبة التي كانت تهزها اليوم لم تعد تخشى الاخطــار الكامنة سابقا . لم يعد من شيء يهددها . لم يبق سوى رغبتهــا واشباعها الممكن ... » .

Tennessee Williams : Le Printemps romain de Mrs Stone, pp. 89-90, La Guilde du Livre, Lausanne.

راجع ايضا :

Oswalt Kolle : Ta femme cette inconnue, p. 163.

٢٢ — راجع :

F. Duyckaerts, op. cit., pp. 16-17.

يقول فورد وبيتش في كتابهما المذكور آنفا انـــه « لمن المتفــق عليه ان افراز الهورمون الخصوية ينخفض كثيرا في مراحــل الحياة الاخيرة » . هذا بالطبع يؤثر في النشاط الجنسي . وقد بينت دراسة كينسي واعوانه ان معدل بلوغ ذروة النشوة الجنسية عند الرجال الذين بلغوا السبعين من العمر هو فقط ٠،٩ بالاسبــوع . الا ان كينسي نفسه يذكر انه استجوب رجلا سبعينيا صرح له بان معــدل بلوغه ذروة النشوة الجنسية يزيد على ٧ في الاسبوع . راجع :

C.S. Ford et F.A. Beach : Le Comportement sexuel chez l'Homme et l'Animal, pp. 291-293.

ويقول الدكتور توردجمان في هذا الموضوع :

« ان الدوافع الحقيقية للعدول عن الجنس (عند المسنين) انما هي نفسية » . راجع :

Gilbert Tordjman : op. cit., pp. 243-246.

٢٣ — راجع :

C.S. Ford et F.A. Beach : Le Comportement sexuel chez l'Homme et l'Animal, pp. 301-302.

من اجل موقف اكثر دقة من الموضوع ، راجع :

Gilbert Tordjman : op. cit., pp. 101-104.

٢٤ — راجع :

Dr. André Arthus : Adolescence, p. 102, Les Editions Ouvrières, Paris, 1967.

٢٥ — راجع :

Homosexualité, in Manuel alphabétique de psychiatrie, p. 260, col. 2, par. 3, P.U.F., 2ème édition, 1960.

٢٦ — راجع :

Paul Chauchard : La Vie sexuelle, pp. 115-116 et Odette Thibault : L'homophilie est-elle un «fléau social» ? in Témoignage chrétien, No. 1360, 30 juillet 1970, pp. 12-13.

٢٧ — راجع :

S. Lebovici et M. Soulé : La Connaissance de l'Enfant par la Psychanalyse, p. 469, P.U.F., Paris, 1970.

Nicole Fabre : Education sexuelle, Education sexuée, pp. 277-278, in Sexualité et Chasteté, «Christus», No. 66, t. 17, avril 1970, pp. 273-279.

Dr. Bernard Muldworf : Le Métier de père, pp. 33-34, Casterman, Tournai, 1972.

ان اثر العوامل النفسية في تحديد الهوية الجنسية تثبته الابحاث التي اجريت حول مختلف حالات التخنث والاسترجال . يقول فرويد بهذا الصدد :

« ان درجة الخنثية النفسية hermaphrodisme psychique عند الجنسين انما هي الى حد بعيد مستقلة عن درجة الخنثية الجسدية » .

S. Freud : Sur la psychogenèse d'un cas d'homosexualité féminine (1920), p. 252, in Névrose, Psychose et Perversion, P.U.F., Paris, 1973.

ويذكر الدكتور توردجمان حالة خنثية نسائية كاذبة pseudo-hermaphrodisme féminin ، تكشف تسلط الجنس النفسي على الجنس البيولوجي . راجع :

G. Tordjman : op. cit., pp. 118-121.

وتتحدث اوديت تيبو عن الظاهرة التي يسمونها اليوم gender-role ، فتقول : « عندما لا يعرف جنس ولد ما على حقيقته عند الولادة ، فيربى خطأ بموجب جنس مضاد لجنسه

الوراثي الحقيقي (اي ذلك المسجل في تكوين خلاياه) ، فانه يحتفظ لا محالة بشيء من جنسه « الاجتماعي » (اي الذي تربى بموجبه) في سلوكه اذا لم يعرف جنسه الحقيقي قبل الثالثة من عمره ، مما يشير الى قوة التكييفات التربوية وضيق مجال معكوسيتها (اي قابليتها للانقلاب) » .

وتقول الكاتبة نفسها ان رفض المرء لجنسه الحقيقي وارادته بأن تنطبق على جنسه الجسدي خصائص الجنس الاخر : مما قد يعبر عنه بتبني لباس الجنس الاخر وعاداته travestisme ، يصادف عند اناس طبيعيين على الصعيد التشريحي والفيزيولوجي ، وانه اضطراب ذات مصدر نفسي وحسب .

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, pp. 82-83. Casterman, Tournai, 1971.

راجع ايضا :

C.S. Ford et F.A. Beach : op. cit., p. 175.

٢٨ — يقول فورد وبيتش :

« على الارجح ، ليس مغلوطا القول بأن الاكثرية الساحقة من النساء « الباردات جنسيا » او اللواتي لا يبدين ردود فعل جنسية ، انما هن وليدات تكييف انفعالي معاكس للجنس اكثر مما يعانين من تكوين فيزيولوجي غير طبيعي » .

C.S. Ford et F.A. Beach : op. cit., p. 288.

كما انهما يتحدثان عن عجز جنسي عند الرجال لا ترافقه عوامل هورمونية ، فيقولان مثلا :

« ان توبر يذكر تقريرا عياديا عن حالة عدة رجال عاجزين جنسيا ... كانوا قد طلبوا استشارة طبيب لكونهم مقتنعين بأنهم يعانون من نقص في نسبة الهورمون الخصوية . وعندما اعلم هؤلاء ان الفحص كشف مستويات هورمونية عادية ، اصبح عدة افراد منهم قادرين فجأة على القيام بالعمل الجنسي » .

C.S. Ford et F.A. Beach : op. cit., pp. 296-297.

راجع ايضا :

Oswalt Kolle : Expérience de l'amour moderne, pp. 226-238.

وردا على توهم الكثيرين من المصابين بالعجز الجنسي بين الرجال وبالبرودة الجنسية بين النساء ، بأن اضطراباتهم يمكن ان تشفى اذا حقنوا بالهورمونات ، يؤكد اوسفالت كوله ، استنادا الى المعطيات العلمية ، على وجود علاقة متبادلة ، على صعيد الجنس ، بين الموقف النفسي من جهة والنشاط الهورموني من جهة اخرى ، اذ يؤثر كل منهما في الآخر . فيقول :

« يجمع العلم على انه ، كما ان الهورمونات الجنسية تؤثر في

الرغبة وفي القدرة على اشباعها ، كذلك فالموقف النفسي من الجنس يؤثر ، بالعكس ، في النشاط الهورموني .

« وبعبارات اخرى : فان الشخص المنفتح على الصعيد الجنسي يقبل الاثارة بطيبة خاطر ، فينشط هذا التقبل انتاج الهورمونات الجنسية ، وهذه ، بدورها ، تزيد الاثارة . وبالعكس ، فان الفرد الذي يتخذ من الجنس موقفا سلبيا ، يغلق على نفسه دون الاثارة ، يحتمي منها ، ولهذا السبب ، فان غدده لا تنشط ، هي ايضا ، وهكذا قد تتولد حلقة مفرغة ... » .

Oswalt Kolle : op. cit., p. 183.

ويورد فورد وبيتش ملاحظة عن رجل مصاب بعجز جنسي كامل (اي انعدام ، لا القدرة على القيام بالجماع وحسب ، بل الرغبة ايضا) عولج باعطائه كميات كبيرة من الهورمونات ، فأصبح قادرا على العمل الجنسي ولكن رغبته بقيت خامدة . يقول المؤلفان :

« لقد عالج دانيالس وتوبر رجلا كان عجزه الجنسي يعيق اتفاقه الزوجي . ان اعطاءه كميات ضخمة من الهورمون جعل الرجل قادرا على فترات طويلة من النعوظ (انتصاب القضيب) وعلى مجامعات متكررة . ولكنها لم تزد رغبته في الجماع ، فكل ما كان يرغب به هذا المعالج كان ان يتخلص من قساحته (اي نعوظه المستمر المؤلم) بواسطة الجماع » .

C.S. Ford et F.A. Beach : op. cit., p. 300.

٢٩ — راجع :

Dr. Jean-G. Lemaire : Les conflits conjugaux, p. 172. 2ème éd., Les Editions sociales françaises, Paris, 1967

« ان المحللين النفسيين يفكرون اكثر فاكثر ان الاضطرابات المسماة « جنسية » ، انما هي ، في العمق ، اضطرابات علائقية » .

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, p. 18.

وبصدد تعليل البرودة الجنسية عند النساء ، يبين اوسفالت كوله كيف ان الخوف يعكر علاقة الجماع ويمنع المراة من ان تجد فيها انشراحا تاما :

« انه اولا الخوف من الجنس الآثم (اي المعتبر كذلك بفعل التربية) ، الخوف من عدم التمكن من تلبية انتظار الاخر ، الخوف من هبة الذات الكلية لشريك الحب ، للأنت . « هبة الذات » تعني الانفتاح الداخلي والجسدي للاخر ، دون اي تحفظ ، انفتاحا يشمل الكيان كله ، هذا لا تتوصل اليه المراة الا بتأثير حب عميق واذا كان عندها يقين داخلي بأن شريكها لن يجرحها .

« كثيرا ما يحدث ان نساء باردات مع زوجهن ، رغم كل الفن الجنسي الذي يتمتع به ، يجدن فجاة الاشباع الجنسي اثناء مغامرة

عابرة مع شريك تنقصه المهارة . هذا يثبت ان تلك المراة ليست لها اية ثقة بزوجها وترفضه داخليا . ربما جرحها يوما ، جرحا لم تنسه البتة ، ربما كانت تعاني من مركب نقص تجاهه مما يحملها على الانتقام منه لا شعوريا على هذه الصورة ، ولسان حالها يقول : رغم كل صفاتك الرجولية ، لن تتوصل ابدا الى امتلاكي كليا » .

Oswalt Kolle : Ta femme cette inconnue, pp. 156-157,

ويعرض المؤلف نفسه ، في كتاب آخر له ، حالة عجز جنسي مرده الخوف من الالتزام العاطفي. رواها له الطبيب النفسي البرليني هانس فون هتنبرغ . فقد اتى رجل يوما لاستشارته وكان « نشيطا . ديناميكيا ، في شرح الشباب (٤٠ عاما) ومعتادا ، في الحب ، ان يأخذ ما يشتهيه . واذا به يجد نفسه فجأة مصابا بالعجز . كان عازبا ويسافر باستمرار وكان ، على حد قوله . قد عاشر ما يقارب المائة امراة ، ولم تمنى هذه المعاشرة بالفشل الجنسي الا ثلاث مرات فقط . ولكن جسده فقط كان معنيا في تلك المغامرات كلها .

« واذا برجلنا يلتقي بفتاة ويقع فورا في حبها . عرف الحب عند ذاك لاول مره في حياته . الا انه عندما اتت ساعة الجماع . بقي هذا الذكر الطافح قوة جامدا . وقد افضى للطبيب قائلا : « شعرت فجأة باضطراب كلي » .

« فلكي يطمئن نفسه قصد احدى صديقاته القديمات ، وكان هذه المرة النجاح كاملا ، بالضبط لأن الرجل لم يكن يحب هذه المراة ولم يكن يبغي منها سوى اشباع جسدي .

« وسرعان ما برهن الطبيب النفسي لمعالجه هذا ان عجزه كان وليد الخوف من التزام دائم . قال له : « أنك تخشى ان يؤول بك الامر الى الزواج من هذه الفتاة ، فتجد هكذا نفسك مرتبطا » .

« وبالفعل اضطر هذا الرجل ان يفرض اولا على نفسه قبول هذا الرباط العاطفي — وبعد ذلك استعاد قدرته الجنسية » .

Oswalt Kolle : Ton mari cet inconnu, pp. 177-178.

عن الاسباب النفسية العميقة للعجز والبرودة الجنسيين وعلاقتها بمشاكل الطفولة ، كما بينها التحليل النفسي ، راجع مثلا :

S. Freud : Sur le plus général des rabaissements de la vie amoureuse, pp. 55-59, p. 62, in La Vie Sexuelle, P.U.F., Paris, 1970.

S. Freud : Le Tabou de la virginité, pp. 73-80, in La Vie Sexuelle.

Dr. René Laforgue : Clinique psychanalytique, pp. 138-148, Ed. du Mont-Blanc, Genève, 1964.

Hélène Deutsch : La Signification du masochisme dans la vie mentale féminine, pp. 34-36, in J. Chasseguet-

Smirgel et als : La Sexualité féminine, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1970.

Dr. René Held : Psychothérapie et Psychanalyse, pp. 211-212, pp. 217-218, p. 245, pp. 255-257, pp. 271-272, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1968.

٣٠ ــ راجع :

Erich Fromm : L'Art d'aimer, p. 109, Ed. de l'Epi, Paris, 1968.

Dr. René Held : op. cit., p. 245.

Oswalt Kolle : Ton mari cet inconnu, pp. 172-174 et 183-191.

٣١ ــ راجع :

Yvon Brès : op. cit. p. 1827.

٣٢ ــ راجع :

Dr. Bernard Muldworf : L'Adultère, p. 193, Casterman, Tournai, 1970.

Dr. André Berge : La Sexualité aujourd'hui, pp. 18 et 20, Casterman, Tournai, 1970.

Anne-Marie Rocheblave-Spenlé : L'Adolescent et son Monde, pp. 49-53, Ed. Universitaires, Paris, 1969.

٣٣ ــ يقول جان بول شارييه بهذا الصدد :

« فلنلاحظ بصورة عابرة ان كل الذين نظروا الى الجنس الانساني بشيء من العمق رفضوا الا يروا فيه سوى وظيفة يمكن ردها الى تشنج غددي . فلينين ، الذي لا يمكن بحال من الاحوال ان يتهم بالمثالية المترمتة ، كان يحتج على الذين يعتبرون الزواج الاحادي على انه مؤسسة عفا عليها الزمن ويعتبرون الرغبة الجنسية مجرد عطش يمكن ارواؤه بنفس البساطة التي يتناول بها المرء « قدح ماء » ... (يقول لينين) « يبدو لي ان هذه الوفرة من النظريات الجنسية ، التي ليس معظمها سوى افتراضات كثيرا ما تكون كيفية ، انما هي نابعة من حاجات شخصية بحتة ، اي من حاجة المرء الى ان يبرر ، في نظر الاخلاق البورجوازية ، حياته الشاذة او غرائزه المفرطة ، ويدعو الى التساهل معها ... ان يعرف الانسان كيف يضبط وينظم اعماله ، هذا ليس العبودية ، انما هو ضروري للحب » .

Jean-Paul Charrier : La sexualité : fonction ou conduite ? p. 194, note 3, in Sexualité et Chasteté, «Christus», No. 66, tome 17, avril 1970.

٣٤ ــ راجع :

P. Tesson : Cahiers Laennec, 1946, No. 2, pp. 33-53, cité par R.H. Barbe : Humanisme et chasteté, in Ma joie

terrestre où donc es-tu ? Ed. Desclée de Brouwer, Paris, 1951, p. 151.

٣٥ ــ راجع :

François Duyckaerts : La Formation du lien sexuel, p. 37.

Bronislaw Malinowski : La Sexualité et sa répression dans les sociétés primitives, p. 163, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1967.

يقول فرويد بهذا الصدد :

« ... ان لدينا حججا دامغة تدفعنا الى الشك في الحرية الجنسية المزعومة عند المتوحشين : صحيح ان الحرية الجنسية عند البدائيين لا يردعها ، في بعض الحالات ، اي رادع ؛ ولكنها تبدو عادة مقيدة بتحريمات اقوى من التي توجد في المراحل الاكثر تحضرا » .

S. Freud : Le Tabou de la Virginité, p. 71, in La Vie Sexuelle, P.U.F., Paris, 1970.

ويقول الاخصائي الكبير بشؤون الشعوب « البدائية » ، مالينوفسكي ، في احدى دراساته :

« ان حرية كبيرة ويسرا كاملا يسودان في العلاقات الجنسية بين اهالي جزر تروبرياند . وقد يستنتج ملاحظ سطحي من هذه الظاهرة غياب كل رادع وكل قيد . ولكن هذا الاستنتاج مغلوط ، لأن حريتهم لها حدود محددة بوضوح » .

B. Malinowski : La Vie sexuelle des sauvages du Nord-Ouest de la Mélanésie, p. 52, Petite Bibliothèque Payot, 1970, cf. aussi : op. cit., pp. 312-378.

راجع ايضا :

B. Malinowski : La Sexualité et sa répression dans les sociétés primitives, p. 163.

Dr. Bernard Muldworf : L'Adultère, p. 190.

C.S. Ford et F.A. Beach : Le Comportement sexuel chez l'Homme et l'Animal, pp. 141-161.

James K. Garfield : La Vie sexuelle, p. 109, in L'Aventure humaine, Encyclopédie des Sciences de l'Homme, tome 4 : L'Homme et les Autres, Ed. La Grange-Batelière, Paris et Kister, Genève, 1967.

Marc Daniel : Histoire et Sexualité, p. 15, in Sexualité et Civilisation, «Le Groupe familial», No. 61, Octobre 1973.

٣٦ ــ يقول كريستيان ده لاكمباني بهذا الصدد :

« ان هذا ليكفي لقلب افتراض عصر ذهبي ، حالة بدائية كان يتمتع فيها الجنس بالاشباع الكلي » ، كما يرد مثلا عند انجلز او

رايش .

Christian Delacampagne : Antipsychiatrie. Les Voies du sacré, pp. 98-100, Ed. Grasset, Paris, 1974.

٣٧ — راجع :

F. Duyckaerts, La Formation du lien sexuel, p. 27.

C.S. Ford et F.A. Beach : op. cit., pp. 147-149.

٣٨ — راجع :

Claude Lévi-Strauss : Les Structures élémentaires de la parenté, P.U.F., 1949, cité par Abel Jeannière : Anthropologie sexuelle, p. 56, note 1, Editions Aubier-Montaigne, 1964.

٣٩ — راجع :

Claude Lévi-Strauss : op. cit., p. 612, cité in Abel Jeannière : op. cit., p. 56, note 1.

٤٠ — يقول هربرت مركوز :

« ان تحريم نساء العشيرة يقود الى الامتداد والى الاندماج بالعشائر الاخرى ، ان الجنس المنظم يقوم بهذا التكوين « لوحدات اوسع » الذي كان فرويد يرى فيه وظيفة الجنس Eros في الحضارة » .

Herbert Marcuse : Eros et Civilisation, p. 69, Collection «Points», Ed. du Seuil, Paris, 1971.

بصدد معالجة هذا الموضوع من منظار ماركسي ، راجع :

Dr. Bernard Muldworf : Le Métier de père, pp. 65-72.

٤١ — راجع :

François Duyckaerts, op. cit., pp. 26-27, 263-267.

Abel Jeannière, op. cit., p. 56.

Michel Richard et coll. : La Psychologie et ses domaines, pp. 185-190, Chronique sociale de France, 1971.

٤٢ — راجع :

François Chirpaz : L'Intention de rencontre, in la Sexualité, numéro spécial d'«Esprit», pp. 1834-1835.

Dr. A. Hesnard : Psychanalyse du lien interhumain, p. 84, P.U.F., Paris, 1957.

Marc Oraison : Pour une éducation morale dynamique, pp. 89-91, Mame-Fayard, Paris, 1971.

٤٣ — راجع :

Dr. Angel Garma : Les Maux de tête, pp. 29-30, PUF, Paris, 1962.

Dr. André Berge : L'Education sexuelle et affective, p. 69, Ed. du Scarabée, Paris, 1964.

ولكن لذة الجماع نفسها ليست وليدة عوامل عضوية وحسب ،

بل تتأثر الى حد بعيد بالعوامل النفسية ، خاصة عند المرأة . يقول اوسفالت كوله بهذا الصدد :

« كثيرا من النساء يصلن الى الارضاء الجنسي في الجماع حتى اذا لم تحدث لهن هزة الجماع orgasme ودون ان يعـــانين من غيابها . يقول الاستاذ جيزه Giese بهذا الصدد : « بعض النساء ليس لهن هزات جماع وهن مع ذلك راضيات ، وبعضهن له هزات جماع ويبقين غير راضيات » . حتى عند الرجل لا تؤول هزة الجماع بالضرورة الى ارضاء كامل : فبموجب موقفه من شريكتـــه او من الجنس ، قد يشعر بهزة الجماع على انها شيء غير سار او مزعج او منفر » .

Oswalt Kolle : Expérience de l'amour moderne, p. 127.

ويوضح الدكتور جيلبير توردجمان ان العلامات الموضوعية لهزة الجماع المسجلة اليوم في المختبرات لا تكفي للاستـــدلال على درجة اللذة التي شعر بها بالفعل . فمثلا كانت هزة الجماع مناسبة لنوبة جزع لا يوصف لدى امرأة كان نظام القيم عندها يرفض الوظيفـــة الجنسية على انها لا معنى لها وخطيئة . ويضيف هذا الكاتب : « ان اللذة . . . لا يمكن ردها الى استواء عملية فيزيولوجية . فاننا نقارب كل يوم نساء لا تكفي هزة الجماع لارضائهن . ينبغي اذا فك هزة الجماع عن الارتياح اللاحق للجماع و ، بالنسبة للمـــرأة ، حتى عن الاشباع . كثيرا من النســاء اللواتــي يأتين للاستشـــارة الطبية يعانين ، بعد الجماع ، من شعور بالمرارة وعدم الاكتمـــال وعـــدم الاشباع ، ورغم حدوث هزة جماع لا شك فيها ، يبقى عند تلـــك النساء شعور بأنهن لم يستنفدن قدرتهن على التمتع » .

Gilbert Tordjman : Clefs pour la Sexologie, pp. 252-254.

وتقول اوديت تيبو :

« ان الجنس عند المرأة اكثر انتشارا ودقة مما هو عند الرجل . اعتقد انه يجب ان يعزى اليها عدة اشكال من النشوة الجنسية : ليس فقـــط من النمـــط الكلاسيكـــي « المهبلـــي » vaginal ، او « البظري » clitoridien ، بل ربما ايضـــا نشـــوة جنسيـــة « نفسية » ، اذا صح التعبير . ذلك ان مشاركة النفسية في العمل الجنسي انما هي اكبر بكثير عندها ، ويمكنها تماما ان تنتظر ارضاء عاطفيا كافيا لمنحها شعورا بالاكتمال والسعـــادة دون ان ينتابهـــا احساس بمتعة حادة وممركزة » .

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, p. 92.

٤٤ ـــ « ان الجنس يعطي للكائن البشري شعورا حادا بعـــدم اكتماله وبحاجته الى الآخر » .

Marie-Thérèse Van Eeckhout : Nos enfants devant la sexualité, p. 12, Casterman, Tournai, 1966.

ان الطابع المأساوي الذي كثيرا ما تتخـــذه خيبات الحبب عنـــد المراهقين ، حتى انها لتقودهم احيانا الى الانتحار ، يوضح جيدا ان الشخص بكامله يلتزم في الجنس . راجع :

Denise Stagnara : Qui nous répondra ? pp. 85-86, Ed. du Chalet, Lyon, 1971.

راجع ايضا :

Christian David : L'état amoureux. Essais psychanalytiques, pp. 182-183, P.B.P., Paris, 1971.

٤٥ — ان الذي يتجه في الجنس اتجاها مثليـــا homosexuel لا يذهب ، في سعيه نحو الآخر ، الى آخر المطاف ، لانه يفتش في هذا الآخر عن صورة لذاته . يقول الدكتور توردجمان : « انه في شريكه يفتش عن مرآة يعكس فيها صورته الذاتية اكثـــر ممـــا يفتش عن مكمل » .

Gilbert Tordjman : Clefs pour la Sexologie, p. 78.

انه يتجنب مجازفة الخروج من ذاته والتغرب عنها للقاء من هو حقيقة آخر . في رواية غادة السمان ، بيروت ٧٥ ، يقول اللواطي نيشان :

« مع الرجولة احس بالالفة . معهن (اي مع النساء) احس بالغربة » .

غادة السمان : بيروت ٧٥ ، ص ٦٥ ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، اذار ١٩٧٥ .

راجع ايضا :

Dr. André Morali-Daninos : Evolution des mœurs sexuelles, pp. 129-130, Casterman, Tournai, 1972.

٤٦ — يقول افلاطون في « الوليمة » ، بصدد عرضه لهـــذه الاسطورة :

« ان ما يفسر هذا الشعور ، انما هو طبيعتنا الاولى . . . وكوننا كنا من قطعة واحدة : لذا فان اشتهاء هذه الوحـــدة والسعي الـــى نيلها ، هو ما يسمى بالحب » .

راجع النص في :

Marie Bonaparte : Introduction à la théorie des instincts, p. 84, P.U.F., Paris, 1951.

راجع ايضا بصدد الاسطورة نفسها :

Gilbert Tordjman : Clefs pour la Sexologie, pp. 76-79.

هناك اسطورة هندية مماثلة واردة في « الاوبنيشاد » وايضـــا اسطورة اشورية من هذا النوع . راجع :

Karl Stern : Refus de la femme, pp. 16-17, Ed. Mame,

Paris, 1969.

٤٧ — راجع :

André Dumas, recension de l'ouvrage de Claude Tresmontant : Essai sur la pensée hébraïque, Cerf, 1953, in «Esprit», juillet 1954, pp. 141 à 145.

Xavier Léon-Dufour : Présence de Jésus ressuscité, p. 598, in «Etudes», avril 1970, pp. 593-614.

Claude Tresmontant : Le Problème de l'Ame.

٤٨ — تقول جاكلين برجريه ، معلقة على النص الكتابي :

« لحم من لحمي ، عظم من عظامي » ، هذا ما كان يهتف بـه آدم مبتهجا ، هو الاول ، امام من كانت مختلفة عنه ، محببة ، مشتهاة لأنها لم تكن صورته ، بل محتفظة بشيء من التميز والاستقلال والاختلاف ، ولكنها كانت طبعا من العنصر نفسه ، قادرة على الاجابة على حبه بحب مماثل ، قادرة على مقاسمته الافراح نفسها ومشاركة اياه في لغته . تلك « الاخرى » ، كان بوسعه اخيرا ان يبتسم لها ، ونحوها كانت تنطلق رغبته ، وبروعة كان يجد نفسه . وهي ايضا » .

Jacqueline Bergeret : Suite pour Eve, p. 36, Le Centurion, Paris, 1973.

راجع ايضا :

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, p. 260, Le Centurion, Paris, 1971.

٤٩ — راجع :

S. Freud : Neurasthénie et «Névrose d'angoisse» (1895), pp. 31-32, in Névrose, Psychose et Perversion, P.U.F., Paris, 1973.

٥٠ — يقول فرويد في كتابه : « محاضرات جديدة في التحليل النفسي » (١٩٣٢) :

« نقبل بوجود نوعين ، مختلفين جوهريا ، من الغرائز : الغرائز الجنسية ، وتؤخذ عبارة « جنسية » هنا باوسع معانيها ، العشق Eros ، اذا شئتم ، وغرائز العدوان التي تستهدف التدمير » .

S. Freud : Nouvelles Conférences sur la Psychanalyse, p. 36, Coll. «Idées», Ed. Gallimard, Paris, 1971.

هذا المعنى الجديد الذي اعطاه فرويد للجنس ، حدا بتلميذين له ، الدكتور لافورغ والدكتور بيشون ، ان يقترحا ، منذ العشرينات ، استبدال كلمة « ليبيدو » التي يشار بها الى الطاقة الجنسية في النظرية الفرويدية ، بكلمة aimance التي تشير الى طاقة حب :

« ان الدكتور بيشون وانا كنا قد اقترحنا ، منذ اكثر من خمسة

وعشرين سنة ، استبدالها (اي استبدال عبارة ليبيدو) بعبارة «aimance» . لا يجب ان ننسى ، بهذا الصدد ، العشق Eros عند افلاطون » .

Dr. René Laforgue : Le Contact affectif du point de vue psychanalytique (1951), p. 19, in Au-delà du Scientisme, Ed. du Mont-Blanc, Genève, 1963.

٥١ ــ راجع :

S. Freud : Psychologie collective et analyse du moi, in Essais de Psychanalyse, pp. 109-110, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1963.

R. Osborn : Marxisme et Psychanalyse, p. 22, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1967.

G. Zilboorg, in Foi, Raison et Psychiatrie moderne, pp. 130-131, p. 137, Cerf, Paris, 1957.

٥٢ ــ راجع :

S. Freud : Malaise dans la Civilisation, cité par Jean-Michel Palmier : Présentation d'Herbert Marcuse, pp. 66 et 85, Coll. «10-18», Union générale d'éditions, 1969.

« ... ان وظيفته (اي وظيفة الحب) ... هي جمع عدد اكبر من الكائنات البشرية بعضها الى بعض وتوحيدها بشكل امتن مما تستطيع ان تفعله مصلحة شركة مبنية على العمل » .

S. Freud : Malaise dans la civilisation, p. 43, in Revue française de Psychanalyse, 1, t. 34, janvier 1970, pp. 9-80.

٥٣ ــ راجع :

Erich Fromm : L'Art d'aimer, pp. 45-55, Ed. de l'Epi, Paris, 1968.

٥٤ ــ راجع

Erich Fromm : op. cit., pp. 72-73.

هذه النزعة الى الاتحاد ، الملازمة للجنس ، تستند ، بنظر فرويد ، من جهة ، الى طبيعة الحياة نفسها :

« ... ان الميول الجنسية pulsions érotiques ... تنزع الى تجميع كمية متزايدة من المادة الحية لتكون منها وحدات اكبر ... » .

S. Freud : Nouvelles Conférences sur la Psychanalyse, p. 141.

ومن جهة اخرى ، الى الجزع النابع من انفصام الرباط الاول في حياة الانسان ، الا وهو رباط الرضيع بأمه (ذلك الانفصام الذي يترسخ بشكل نهائي في المرحلة الاوديبية ، عند تحقق الطفل من انتمائه الى احد الجنسين وعدم مقدرته على الجمع بينهما) ، والى الحاجة الى العودة الى وحدة هذا الحب الاندماجي الاول . راجع :

Georges Mauco : Les Célibataires et le Célibat, pp. 206-207.

راجع ايضا :

Ernest Jones : La Vie et l'Oeuvre de Sigmund Freud, tome III, pp. 314-315, P.U.F., Paris, 1969.

٥٥ ـ يقول العالم الفيلسوف الاب تيار دي شاردين :

« الحب وحده ، لكونه يتناول الكائنات ويجمعها في الاعماق ، قادر ـ هذا واقع من الخبرة اليومية ـ ان يكمل الكائنات ، من حيث هي كائنات ، بجمعها معا . اذ ما هي اللحظة التي يبلغ فيها عاشقان ذروة امتلاك كل منهما لذاته ؟ اليست تلك التي يقولان ان كلا منهما ضاع بها في الآخر ؟ » .

Pierre Teilhard de Chardin : Le Phénomène humain, pp. 266-267, Coll. «Points», Seuil, Paris, 1970.

هذا يلتقي مع ملاحظات لمحللين نفسيين واخصائيين في الجنس . تقول جاكلين بارجريه :

« ... كثير من الاحداث شبوا ... يرافقهم هذا الاعتقاد الراسخ بأن فعل الحب انما هو قضية فيزيولوجية ، ودون ان يعرفوا شيئا من التداخل العميق بين حياتهم الشعورية وامكانياتهم الجنسية . ومع ذلك فليس من حب ، حتى اكثره زيفا وزوالا ، يمكن اعتباره قضية جسدية بحتة » .

Jacqueline Bergeret : Suite pour Eve. La Femme et sa psychanalyse, p. 213.

ويقول نايل ، مؤسس مدرسة سومرهيل الشهيرة بتحررها :

« ان ممارسة الجنس في الحب هي اسمى اشكال النشوة لأنها الشكل الاسمى لهبة الذات وقبول الآخر » .

A.S. Neill : Libres enfants de Summerhill, p. 191, Maspéro, Paris, 1973.

٥٦ ـ راجع :

B. Malinowski : La Sexualité et sa répression dans les sociétés primitives, pp. 161-172, 186-188, 189-190, 191, 193.

٥٧ ـ راجع :

Dr. Paul Chauchard : Connaissance et Maîtrise de la Mémoire, pp. 47-48, Bibliothèque Marabout, Ed. Gérard et Co., Verviers, 1970.

Jacques Cosnier : Clefs pour la Psychologie, p. 74, Seghers, Paris, 1971.

٥٨ ـ راجع :

Dr. Paul Chauchard : La vie sexuelle, p. 49.

٥٩ ـ راجع :

Rémy Chauvin : Conduites sexuelles de l'animal, Individus et sociétés, p. 20, in Centre d'études Laennec : Sexualité humaine, Ed. Lethielleux, Paris, 1966.

هاك مثلا آخر مصدره تينبرغن :

« يروي تينبرغن ان الوضع المقرفص الذي تتخذه الانثى عندما تكون مستعدة للعلاقات الجنسية هو الاشارة الحافزة stimulus-signal الاهم بالنسبة للطير المدعو Bonasa Umbellus فان ذكور هذا النوع تميز جيدا الجنسين احدهما عن الآخر ، ولكنها ، فيما يتعلق بالعمل الذي نحن بصدده ، تتفاعل مع خصوصية في السلوك عوض تفاعلها مع فوارق الاشكال او الالوان . لذا فأن ذكرا آخرا مقرفصا ، او جثة في هذا الوضع ، يطلقان ارتكاس réaction المزاوجة ، فقط لأن الذكر لا يستطيع مقاومة اشارة حافزة قوية » .

Roger Mucchielli : Introduction à la Psychologie structurale, p. 82, Charles Dessart, Bruxelles, 1966.

٦٠ — راجع :

Max de Ceccatty : Essai d'énoncé biologique, in La Sexualité, «Esprit», novembre 1960, p. 1720.

٦١ — انها « السرعوفة » او « الراهبة » .

٦٢ — راجع وصف العالم الاختصاصي في الحشرات فابر Fabre لهذا السلوك ، كما ورد في :

Georges Mauco : Les Célibataires et le Célibat, p. 32.

٦٣ — راجع :

Max de Ceccatty : La vie de la cellule à l'homme, p. 120, Ed. du Seuil, Paris, 1962.

حول العدوان الجنسي في عالم الحيوان ، راجع مثلا :

Gilbert Tordjman : Clefs pour la Sexologie, p. 6.

٦٤ — راجع :

Abel Jeannière : op. cit, p. 52.

٦٥ — راجع :

Rémy Chauvin : op. cit., pp. 30-31.

Dr. Paul Chauchard : La vie sexuelle, p. 61 et pp. 76-78.

Dr. Paul Chauchard : Des animaux à l'homme, pp. 136-139, P.U.F. Paris, 1961.

تقول المحللة النفسية ماريز شوازي :

« عندما كنت سابقا اعير قطي السيامي بقصد التناسل ، كان يستقبل عند عودته بصفعة من القطة التي كانت تشم رائحة المنافسة التي فرضتها انا ، فتتذمر من هذه الخيانة الزوجية ... ان وسترمرك يبرز امانة الطيور التي لا غبار عليها ... » .

Maryse Choisy : Moïse, p. 98, Ed. du Mont-Blanc, Genève, 1966.

راجع ما يقوله فورد وبيتش عن الذئب والثعلب (ص ١٤٦ — ١٤٧) وعن الشقgibbon (ص ١٤٥) وعن الشنبنزي (ص ٢٦٤ — ٢٦٥ و ص ٣٣٢) .

C.S. Ford et F.A. Beach : Le Comportement sexuel chez l'Homme et l'Animal.

راجع ايضا ما يقوله العالم الكبير في سلـــوك الحيوان كونراد لورنز عن غربان الزرع والاوز الرمادي :

Konrad Lorenz : Il parlait avec les mammifères, les oiseaux et les poissons, pp. 87-88 et p. 93.

Konrad Lorenz : L'Agression, Flammarion, 1977, pp. 189-199.

٦٦ — راجع :

Dr Paul Chauchard : La vie sexuelle, p. 61.

٦٧ — راجع :

Paul Balvet, in La sexualité, «Esprit» novembre 1960, p. 1867.

٦٨ — راجع :

Abel Jeannière : op. cit., p. 51.

٦٩ — راجع :

Abel Jeannière : op. cit., p. 36.

٧٠ — راجع :

Dr. Paul Chauchard : La vie sexuelle, p. 38.

٧١ — راجع :

Dr. Paul Chauchard : op. cit., p. 61.

يقول جورج موكو :

« بينما الجنس ، عند الحيوان ، يخضع خاصة لغريزة ولحاجة فيزيولوجية ، فهو عند الانسان ، وبشكل خاص ، حاجة الى الاتصال والحب . عند الحيوان ، لا تظهر الـــرغبة الجنسية عامة الا بفعل الحاجة التي تثيرها فترة النزو rut (...) . اما عند الانسان ، فالرغبة بالعكس دائمة وتتخطى مجرد اشباع غريزة بيولوجية (...) ذلك ان الرغبة الجنسية عند الانسان هي طلب علاقة عاطفية ؛ اي حاجة الى الحوار والتبادل » .

Georges Mauco : Les Célibataires et le Célibat, pp. 11-12.

راجع ايضا :

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, pp. 103-104, p. 105.

٧٢ — راجع :

Paul Evdokimov : Sacrement de l'Amour, p. 166. Ed. de l'Epi, Paris, 1962.

٧٣ ــ يقول اوسفالت كوله :

« الكائنات البشرية ، وحدها دون سائر الخلائق ، تتجامع وجها لوجه . هذا النمط في الجماع هو الذي يعطي ، بشكل عام ، اوفر لذة (...) ان تتبع مراحل الاثارة على وجه الشريك يعمق الرباط النفسي ، اذ يستطيع المحبان ان يشارك كل منهما الآخر بالنظرات .

« ومن جهة اخرى ، فان طريقة الجماع هذه تميز العمل الجنسي البشري عن المزاوجة الحيوانية التي هي محض ارتكاسية ولا تستهدف سوى التناسل » .

Oswalt Kolle : Expérience de l'amour moderne, p. 268

٧٤ ــ يقول هنري تافواللو :

« يجب ان نقبل بأن الوظيفة الجنسية ليست وظيفة شبيهة بسواها ، لأنها تفترض في جوهرها علاقة بالآخر » .

Henry Tavoillot : Une expérience d'éducation sexuelle, p. 39, note 1.

لقد اوضحت مدرسة جاك لاكان في التحليل النفسي ، الاختلاف القائم بين « الحاجة » besoin و « الرغبة » désir .

« فالحاجة » تستهدف امتلاك شيء . اما « الرغبة » ، التي هي جوهر الجنس عند الانسان ، فهي « رغبة في رغبة الآخر » ، اي رغبة المرء بأن يكون مرغوبا من الآخر ، انها بالتالي تستهدف الآخر كشخص وتبغي الاتحاد به .

يقول المحلل النفسي جورج موكو بهذا الصدد :

« الجوع ، الذي هو حاجة ، يستهدف شيئا ، اما الحب ، الذي هو رغبة ، فيستهدف رغبة آخر . انه يطلب رغبة تتجاوب مع رغبته ... » .

Georges Mauco : Psychanalyse et Education, p. 30, Aubier-Montaigne, Paris, 1967.

راجع ايضا :

Christian David : L'état amoureux, pp. 182-183.

Georges Mauco : L'Inconscient et la Psychologie de l'Enfant, p. 186, P.U.F., 1970.

ويصور لنا الروائي الايطالي المعاصر البرتو مورافيا بشكل بليغ موقف الرغبة هذا في روايته « الاحتقار » . يعاني بطل الرواية من ابتعاد زوجته عنه عاطفيا لاسباب غامضة . وذات يوم يغافلها عارية ، فتستيقظ رغبته ، فيصورها لنا على الشكل الآتي :

« كانت رغبة نفسية اكثر منها جسدية ــ رغم عفويتها وعنفها ــ رغبة بأن اتحد بها ، لا بجسدها ، او في جسدها ، ولكن من خلال

جسدها . لقد كنت حقيقة جائعا اليها وكان اشباع هذا الجوع مرتبطا لا بي ، بل بها وحدها ، بقبولها يلاقي رغبتي . اواه ! كنت احس بأنها ترفض هذا القبول ، رغم ان النظر كان يوهمني بأنهـــا ، في عريها ، تقدم ذاتها لي » .

Alberto Moravia : Le Mépris, p. 202, Le Livre de poche, Paris, 1967.

٧٥ ــ كانت الكاتبة الفرنسية الشهيرة جورج صاند تدرك ذلك تماما رغم ان حياتها العاطفية قد تبدو لأول وهلة اباحية . فبعد ان استفحل الخلاف بينها وبين زوجها ، نصحها وكيل دعواها ان تتصالح مع زوجها بأن « تصبح خليلته » ، وذلك حفاظا عـــلى مصالحهـــا ومصالح اولادها . ولكن اورور (هذا هـــو الاسم الحقيقي لجورج ساند) رفضت هذا الحل رفضا باتا كما يروي لنا اندره موروا في ترجمته لحياة جورج ساند . يقول : « لقد استفظعت هذا المشروع : « ان المزاوجات دون حب انما هي شيء دنيء . فالمرأة التي تبغي الجماع مع زوجها بقصد الاستيلاء على ارادته تقوم بعمل يضاهي ما تصنعه البغايا طمعا بمال او ترف » (...) كانت تعتقد انه لا يمكن للمرأة ان تهب ذاتها وكأنها شيء من الاشياء : « اننا جسد وروح معا ... فاذا كان للجسد وظائف لا تتدخل الروح فيهـــا ، كالأكل والهضم ، هل يمكن مقارنة اتحاد كائنين في الحب بتلك الوظائف ؟ مجرد التفكير بذلك امر مغضب » .

André Maurois : Lélia ou La Vie de George Sand, pp. 246-247, Ed. Rencontre, Lausanne.

٧٦ ــ راجع :

François Duyckaerts : op. cit., pp. 299-300.

٧٧ ــ راجع :

Edmond Ortigues : Sur la théorie psychologique et la réflexion morale, in Psychologie moderne et réflexion chrétienne, pp. 160-161, Ed. Arthème Fayard, Paris, 1953.

٧٨ ــ راجع :

Denis Vasse : Le Temps du désir, p. 40, Seuil, Paris, 1969.

٧٩ ــ راجع :

S. Freud : Trois Essais sur la théorie de la sexualité, Coll. «Idées», Ed. Gallimard, Paris, 1962.

S. Freud : Ma vie et la psychanalyse, pp. 47 et 48, Coll. «Idées», Ed. Gallimard, Paris, 1968.

S. Freud : Introduction à la psychanalyse, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1962.

Denise Saada : L'héritage de Freud, pp. 57-58, Ed. Aubier-Montaigne, 1966.

Georges Mauco : L'Inconscient et la Psychologie de l'Enfant, pp. 115-116, P.U.F., Paris, 1970.

Georges Philippe Brabant : Clefs pour la Psychanalyse, p. 34, pp. 41-42, Seghers, Paris, 1971.

S. Freud : Nouvelles Conférences sur la Psychanalyse, pp. 129-130, Coll. «Idées», Ed. Gallimard, Paris, 1971

٨٠ — راجع :

S. Freud : Abrégé de psychanalyse, p. 14, P.U.F., Paris, 1967.

٨١ — راجع :

S. Freud : Cinq Psychanalyses, pp. 407-408, P.U.F Paris, 1954.

٨٢ — راجع :

S. Freud : Trois Essais sur la théorie de la sexualité pp. 74-75.

٨٣ — راجع :

Mélânie Klein et Joan Rivière : L'Amour et la Haine. Etude psychanalytique, p. 114-115, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1968.

Denise Saada : L'Héritage de Freud, pp. 57-58.

Marianne Roland-Michel : Attendre un enfant. pp. 161-162, Casterman, 1969.

يقول الدكتور اندره مورالي دانينوس :

« عندما نتحدث عن الفطام ، فاننا لا نتحدث عن غذاء مادي وحسب ، بل عن غذاء نفسي من حب ، وطمأنينة ، وتقبل ، وتفاؤل ... » .

Dr. André Morali-Daninos : Evolution des mœurs sexuelles, p. 139, Casterman, Tournai, 1972.

راجع ايضا :

Dr. Jean-Pierre Lauzel : L'Enfant voleur, p. 93, P.U.F., Paris, 1966.

٨٤ — راجع :

Irène Lézine : Psychopédagogie du premier âge, pp. 53-54, P.U.F., Paris, 1964.

٨٥ — ولذا فقد يرفض الطفل الحليب اذا احس ان الام غائبة عاطفيا ، كما يتضح مثلا من ملاحظة طفل له ستة اسابيع من العمر ادخل المستشفى لانه كان يعاني من تشنجات في فم المعدة .

راجع :

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte. Les Etapes de la vie affective et sexuelle, p. 93, Le Centurion, Paris, 1971.

ان التماس الرضيع للأم نفسها يقابله ، عند الوالدة ، شعورا

بأنها تعطي ذاتها لطفلها عندما ترضعه . وهناك شهادة احدى الامهات توردها بياتريس ماربو — كليرنس :

« كنت احس بأنني احييه بماهيتي ، وبأن جسدي ينتقل الى جسده (...) كنت اشعر بشفتيه تعضان لحمي واسمع حليبي ينزل في جسده ، وكأن حياتي تنتقل اليه ؛ كنت اعطي هذا السائل الابيض كل معنى ماهيتي الجسدية والروحية ... » .

Béatrice Marbeau-Cleirens : Psychologie des Mères, p. 49, Editions Universitaires, Paris, 1967.

لذا فالمحلل النفسي الشهير ، الدكتور وينيكوت يقول بحق :

« ... ان الارضاع قضية علاقة بين الام والطفل ، انه ممارسة علاقة حب بين كائنين بشريين » .

Dr. D.W. Winnicott : L'Enfant et sa famille. Les premières relations, p. 29, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1971.

٨٦ — مثلا ، يبين المحلل النفسي السويسري الدكتور شارل اودييه ، في تأويله لحلم احد معالجية ، العلاقة الرمزية بين العبارات التالية : تقبل الطعام وتقبل الحب ، الطعام والحضور ، الحرمان من الطعام والافتراق والغياب . راجع :

Dr. Charles Odier : L'Angoisse et la Pensée magique, pp. 232-234, Delachaux et Niestlé, Neuchâtel et Paris, 1966.

وقد بين ارنست ديشتر ، الاخصائي في علم النفس الاجتماعي ، من خلال سلسلة من المقابلات ، المعنى الانفعالي الذي يحتفظ به الحليب عند الراشدين . راجع :

Ernest Dichter : La Stratégie du désir, pp. 64-65, Fayard, Paris, 1970.

٨٧ — يقول الدكتور توردجمان :

« ان مص الابهام يرمز الى الاتحاد بالأم الغائبة : فالابهام هو ، على هذا النحو ، بديلا للحلمة » .

Gilbert Tordjman : Clefs pour la Sexologie, p. 178.

راجع ايضا :

Denis Vasse : La Présence réelle ou l'effet d'une Parole dans le lieu de la mort, p. 277, in Mort et Présence, Ed. de Lumen Vitae, Bruxelles, 1971.

٨٨ — راجع :

Dr. Maurice Dongier : Névroses et Troubles psychosomatiques, p. 115, Ed. Charles Dessart, Bruxelles, 1966.

Selma H. Fraiberg : Les années magiques, p. 42, P.U.F., Paris, 1967.

٨٩ ــ يقول المحلل النفسي والبحاثة الشهير الاميركي ، الدكتور رينه شبيتز ، نتيجة لملاحظاته الدقيقة ، المرتكـزة الى التصويـر السينمائي ، للعديد من الاطفال الرضع :

« لقد تحققنا بواسطة ملاحظاتنا ان الطفل الذي يرضع ، يركز ، في كل الاحوال ، عينيه على وجه امه طيلة فترة الرضاعة ، دون ان يحول عينيه ، حتى يأخذه النوم » .

René A. Spitz : La Première année de la vie de l'enfant, p. 17, P.U.F., Paris, 1958.

ويعلق المحلل النفسي كريستيان دافيد على هـذه الظاهـرة بقوله :

« ان عيني الرضيع . . . منذ انفتاحهما اذا صح التعبير ، تتركزان بشكل ثابت على نظر الام ، « فتشربانها » وتمتصانها فيمـا يمتص الفم الحليب ويشربه . . . » .

Christian David : L'état amoureux, p. 191.

راجع ايضا :

Denis Vasse : Le Temps du désir, p. 22.

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, p. 132.

٩٠ ــ راجع :

Dr. René Spitz : La Première année de la vie de l'enfant.

Irène Lézine : op. cit., pp. 126-128.

٩١ ــ راجع :

Dr. Maurice Porot : L'Enfant et les Relations familiales, P.U.F., Paris, 1954; aussi l'article «Hospitalisme» in Dr. Robert Lafon : Vocabulaire de Psychopédagogie et de Psychiatrie de l'Enfant, pp. 292-295, P.U.F., Paris. 1963.

جون بولبي : رعاية الطفل وتطور الحب (دار المعارف بمصر ، ١٩٥٩) .

S. Lebovici et M. Soulé : La Connaissance de l'Enfant par la Psychanalyse, pp. 368-420, P.U.F., Paris, 1970.

Dr. André Berge : L'Enfant au caractère difficile. pp. 200-201, Hachette, Paris, 1970.

Hans Zulliger : Bandes, Hordes et Communautés pp. 48-52, Bloud et Gay, 1969.

ويقول ميشال زلوتوويكز :

« . . . ان حضور الآخرين الشخصي هـو ، بالنسبـة للطفل الصغير ، عنصر حيوي لا يقل من حيث الاهمية الجوهرية عن العناية التي يقدمونها له » .

Michel Zlotowicz : Les Peurs enfantines, p. 42, P.U.F..

Paris, 1974.

٩٢ ـ راجع :

Dr. Serge Leclaire : L'Inconscient et le corps, in L'Ame et le Corps, Ed. Arthème Fayard, Paris, 1961, p. 104.

٩٣ ـ راجع :

Charles Baudouin : L'Ame enfantine et la psychanalyse, t. 1, p. 108, Delachaux et Niestlé, Neuchâtel, Paris, 1954.

Hans Zulliger : op. cit., p. 87.

٩٤ ـ راجع :

Erikson : Enfance et Société, p. 116, Ed. Delachaux et Niestlé, Neuchâtel et Paris, 1959.

٩٥ ـ راجع :

Anna Freud : Initiation à la Psychanalyse pour éducateurs, Ed. Privat, Toulouse, 1968, p. 104.

يقول المحلل النفسي السويسري هانس زولليغر :

« انني آكل ماما » ، كان يقول صبي في الثانية والنصف من عمره كان لا يزال يرضع ، واعتقد اننا ، كنــا ، في الاصــل ، « نأكل » امنا ... » .

Hans Zulliger : op. cit., pp. 58-59.

ويقول ارنست ال بصدد الحلمة ، وهي اول شيء يميزه الطفل :

« ... بالنسبة للرضيع ، فالعالم المحيط يتركز كله في الحلمة . ولكن الحلمة تسمى في اللاتينية «mamma» : وقد اصبحت هذه الكلمة ، وبقيت تقريباً في كل مكان ، العبارة التي ينادي بها الاطفال امهم » .

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, p. 132.

راجع ايضا :

Dr. Bernard Muldworf : L'Adultère, p. 81, Casterman, 1970.

٩٦ ـ راجع :

Sigmund Freud : Abrégé de psychanalyse, p. 61.

S. Freud : Sur la sexualité féminine (1931), p. 147, in La Vie Sexuelle, P.U.F., Paris, 1970.

S. Freud : Nouvelles Conférences sur la Psychanalyse (1932), p. 160.

٩٧ ـ راجع :

Victor Smirnoff : La Psychanalyse de l'Enfant, pp. 196-197. P.U.F., Paris, 1966.

François Chirpaz : Le Corps, pp. 71-75, P.U.F., Paris, 1963.

Dr. Jean-Pierre Lauzel : L'Enfant voleur, p. 86.

وعن النهم الفمي عند الرضيع ، راجع :

St. Augustin : Confessions, p. 27, «Le Livre de poche». Paris, 1962.

٩٨ — عن استمرار الموقف الاستهلاكي من الكون عند الراشد ، نجد هذا الشاهد المستمد من مذكرات سيمون دي بوفوار :

« ... لقد استفدت بشغف من امتياز الطفولة التي ترى الجمال والترف والسعادة اشياء تؤكل (...) هذا الكون الذي نسكنه ، لو كان كله يؤكل ، كم تكون سيطرتنا عليه كبيرة ! كنت ، وانا راشدة، اود لو ارعى شجر اللوز المزهرة ، لو اعضي ملبس المغيب . في سماء نيويورك ، كانت لافتات النيون تبدو وكأنها حلويات عملاقة ، فأحسست نفسي محرومة » .

Simone de Beauvoir : Mémoires d'une jeune fille rangée, pp. 7-8, Le Livre de poche, Paris, 1964.

ويلقي جورج فيليب برابان أضواء التحليل النفسي على هذه الظاهرة ، فيقول :

« ان النشاط المميز لكل مرحلة من (مراحل النمو العاطفي) (الاندماج بالنسبة للمرحلة الفمية ، الامساك أو التغوط بالنسبة للمرحلة الشرجية) يحدد نمطا من العلاقة مع مواضيع العالم الخارجي يمكن نقله الى نشاطات اخرى ، نفسية او جسدية ، فيشكل بالنسبة اليها نوعا من النموذج او المرجع الخيالي » .

راجع :

Georges Philippe Brabant : Clefs pour la Psychanalyse, pp. 40-41, Seghers, 1971.

٩٩ — راجع :

Simone de Beauvoir : Le Deuxième Sexe, t. I, pp. 213-214, Coll. «Idées», Ed. Gallimard, Paris, 1968.

١٠٠ — راجع :

François Duyckaerts : op. cit., pp. 83-84.

١٠١ — يقول هانس زولليغر :

« فلنلاحظ عبورا أن الزنجي الاسترالي كان احيانا يقتل المراة المحبوبة ويأكلها » .

Hans Zulliger : Bandes, Hordes et Communautés, p. 58.

في قصة للروائية الفرنسية الشهيرة كوليت بعنوان « الموعد » ، يقول برنار عن روز ، المراة التي يشتهيها :

« آه ! هذه تحتاج الى متسع من الوقت لكي تفهم ... ولكنها قد جعلت كلها ، وبشكل رائع ، من اجل الاستهلاك » .

Colette : Le Rendez-vous, in Bella Vista, suivi de

Trois, Six, Neuf, p. 133, Le Livre de poche, Paris, 1974.

يقابل ذلك عند المرأة نزعة الى « امتصاص » الرجل المحبوب ، الى تغييبه وتذويبه فيها ، مما يعيد الى الذاكرة السلوك الذي نوهنا به سابقا ، سلوك بعض اناث الحيوان اللواتي يفترسن ذكرهن اثناء المضاجعة . هذا ما عبرت عنه غادة السمان في روايتها « بيروت ٧٥ » ، اذ قالت متحدثة عن بطلتها ياسمينه وعن حبها لنمر السكيني :

« نمر ... جسد نمر ... انها تزداد شهية اليه ، تمتصه كنملة تريد قتل ذكرها ... تفترسه كل ليلة كمخلوقات الطبيعة التي تلتهم ذكرها اثناء مضاجعته ... » .

غادة السمان : بيروت ٧٥ ، ص ٥٠ — ٥١ ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، آذار ١٩٧٥ .

لذا فلا عجب اذا ارتاع المحبوب من هذا الحب « الآكل » ، كما تلاحظ ياسمينه نفسها اذ تقول :

« ... ها انا اخيفه بشهيتي اليه ... » المرجع نفسه ، ص ٤٠ .

١٠٢ — في روايته الشهيرة « جناح السرطان » ، يقدم لنا الكاتب الروسي الكسندر سولجنتسين نموذجا عن هذا الموقف مجسدا في شخص افرام بوددوييف عندما يتذكر مغامراته التي لا تعد مع النساء :

« كم من النساء استطاع ان يتناول ! (...) لم يكن دوما يسألهن عن اسمهن ، مكتفيا بأن يدفع لهن ما اتفق عليه . والآن ، فقد اختلط كل شيء في ذاكرته ، الوجوه ، وانماط السلوك ، والظروف ، فلم يكن يتذكر الا ما خرج عن المألوف (...) صحيح ان الجميع كانوا يتحدثون عن « المساواة » ، ولم يكن افرام يرفض ذلك ، ولكنه ، في قرارة نفسه ، لم يعتبر في يوم من الايام ان النساء كائنات كاملة ... » . راجع :

Alexandre Soljénitsyne : Le Pavillon des cancéreux, pp. 149-151, Le Livre de poche, Paris, 1971.

وفي كتابه « ارخبيل الغولاغ » . يروي الكاتب نفسه كيف تعرف في زنزانته ، عندما كان معتقلا في عهد ستالين ، بمهندس كان يبلغ السادسة والثلاثين من العمر ، القي القبض عليه لأسباب سياسية بعد ان عاش حياة مترفة انفق فيها دون حساب وراكم الغزوات بين النساء :

« لم يكن يحصي سوى النساء اللواتي كان يحصل عليهن وخاصة تلك اللواتي كان يزيل بكارتهن . وكان هذا الحساب بمثابة الرياضة التي يمارسها . وقد اكد لنا في زنزانتنا ، ان توقيفه قاطعه

عند رقم المائتين وتسعين ونيف ، قبل ان يبلـــغ — وهـــذا ما كان بحكده — الثلاثمائة (...) كان قد استولى على تلك النساء بصورة همنجية ، وقشرهن ، ثم رماهن بعيدا . كما يفعل المرء اذا جلس امام طبق من الاربيان (القريدس) ، اذ يمسك بواحدة منها ويقضمها ويمصها لينتقل فورا الى التالية » .

Alexandre Soljénitsyne : L'Archipel du Goulag, p. 149 Seuil, Paris, 1974.

هذا النمط ذاته من السلوك ، تشير اليه ياسمينه ، بطلة رواية بيروت ٧٥ » لغادة السمان ، عندما تقول متحدثة عن عشيقها نمر لسكيني الذي تعلقت به بملء جوارحهـــا ، ان « نمـــر يمتصهـــا وسيبصقها قريبا وهي تعرف ذلك جيدا في اعماقهـــا » . (غـــادة لسمان : بيروت ٧٥ ، ص ٥٢) .

وعلى المنوال نفسه ، نرى احد ابطـــال هنري دي مونترلان ، الاباحي بيار كوستال ، يكتب باستخفاف وقح لأحدى النساء اللواتي وقعن في حبائله :

« ارجو ان يكون آخر مستعمليك وسيم وطيب . عودي الي وانت على احسن ما يرام في نهاية الشهر » .

Henry de Montherlant : Les Jeunes filles, p. 37, Gallimard, Paris, 1954.

تقول اوديت تيبو :

« ... ان الدوافع الغريزية الجنسية هدامة جزئيا ، من حيث ميلها الى امتلاك موضوعها (فالاستهلاك يهدم الشيء المستهلك) » .

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, p. 54.

لذا فان الرغبة الجنسية ، عندما تستهدف الآخر وكأنه مجرد شيء ، قد تكون تعبيرا ، واعيا اكثر او اقل ، عن الكره . هذا مـــا يصوره لنا فرنسيس كاركو في روايته « الرجل المطارد » ، حيث نرى ان حقد لامبيور على المومس لاونتين التي كانت ، بداعي الصدفة ، شاهدا غير مباشر لجريمة ارتكبها ، يغذي فيه ، من حيث لا يدري ، رغبة شرسة تدفعه الى مضاجعتها بشكل مذل :

« ربما كان هذا الحقد الدافـــع الـــذي حـــدا بلامبيور الى « الاستيلاء » على لاونتين واذلالها . صحيح انه كان يجهل ذلك ، ولكن حدة رغبته لم يكن لها تفسير آخر . لقد فرض عليه حقده على لاونتين ان يشتهيها ... ولكنه لم يكن يدرك ذلك » .

Francis Carco : L'Homme traqué, pp. 93-94, Le Livre de poche, Paris, 1968.

هذا المزيج من الشهوة والحقد يصوره لنـــا ايضـــا الروائي جوزيف كاسيل عند ضابطين طيارين شابين . يقول احدهما :

« لقد كانت المرأة فريسة من حقنا ان نستولي عليهـــا (...

لا ادري ان لم نكن ، في ارتكاساتنا ، نشبع حاجة خفية الى الثار ، ان لم تكن كل تلك الليالي الجائعة التي قضيناهـــا في الجبهة تطالبنا بذلك النوع من الانتقام ، وان لم تكن شهوتنا المتواصلة شهورا بعد شهور للأجساد الثمينة والمتموجة بنعومة قد دفعتنا الى كرهها » .

Joseph Kessel : La Rose de Java, p. 17, «Folio», 1972.

١٠٣ ــ راجع :

Abel Jeannière : op. cit., p. 146.

١٠٤ ــ راجع :

Violette Morin et Joseph Majault : Un Mythe moderne : l'Erotisme, p. 121, Casterman, Tournai, 1964.

يقول المحلل النفسي برونو كاستي :

« ان وجهة نظر ساد كانت ضرورة تهديم الآخر الذي ليست وظيفته سوى ان يكون **شيئا** تجاه من اراد ان يكون ذاتا . ان كل الادب السادي او الذي يستلهم السادية يؤول الى هذا التحويل للآخر الى **شيء** » .

Bruno Castets : La Loi, l'Enfant et la Mort, p. 144, Fleurus, Paris, 1971.

ويحدثنا الدكتور توردجمان عن تســـوة طقوس العربدة التي كانت تقام قديما احتفالا بالإلـــه ديونيسيوس ، والتي كان الشبان الذين يمثلون فيها دور ديونيسيوس ، يفتك بهم في الاصل ، عـــلى الارجح ، ويفترسون . راجع :

Gilbert Tordjman : Clefs pour la Sexologie, pp. 32-33.

١٠٥ ــ اليك شاهدا بليغا على « اختفاء » الآخر هذا بعـــد « الاستهلاك » . لقد وهبت ناديا ذاتها لبيير ــ ويبلـــغ كل منهما العشرين عاما ــ لتستجيب لرغبة صديقها الملحاحة . « كان بيار ... يبدو راضيا . نظرت اليه وهو يشعل سيكارة . لم يعد يعيرها اقل انتباه . لو كان همس ببعض عبارات الحنان ، لكان اختلف كل شيء . ولكنه كان قد نال ما اشتهاه ، وبدا عليه وكأنه نسي حتى وجود صديقته » .

Eustace Chesser : Les Relations sexuelles des 15-20 ans, p. 13, Ed. Marabout, Verviers, 1969.

يقول ارنست ال :

« ان هذا النهم الجسدي يمنع العمل الجنسي من ان يصبح « فعل حب جسدي » : فلن يكـــون الحب المبـــدأ الموجـــه للخبرة الجسدية ، لأن المستعبد لهذا النهم الجســـدي لا يهتـــم الا بالخبرة الجسدية نفسها ، فالتراكم وحده ، و « الاستهـــلاك » الجسدي يقدران فقط ان يشبعا حاجته » .

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, p. 49.

١٠٦ ــ راجع :
V. Morin et J. Majault, op. cit., p. 121.
١٠٧ ــ راجع :
Ernest Ell : op. cit., pp. 85-92.
١٠٨ ــ راجع :
Gaston Bachelard : La Psychanalyse du feu, p. 34. Coll. «Idées», Ed. Gallimard, Paris, 1965.
Denis Vasse : Le Temps du désir, pp. 10-11.
Gilbert Tordjman : Clefs pour la Sexologie, p. 37.
١٠٩ ــ يقول الدكتور جيلبير توردجمان :
« في الولائم المترفة ، التي يقدم لنا كتاب الساتيريكون نموذجا عنها ، كان النبلاء يحملون انفسهم الى القيء ليتخموا من جديد » .
١١٠ ــ « ان الشخص يتوغل في العزلة اذا « استخدم » الآخر من اجل ذاته وحوله الى شيء » .
Augustinus Wucherer-Huldenfeld : Contribution à la théologie de l'espérance, p. 186, in Personnalisation. Etudes sur la Psychologie d'Igor Caruso, Desclée, Paris, 1971.
ويقول دنيس فاس :
« ... ان التقوقع في اشباع الحاجة البحتة مأزق يمكن الوقوع فيه ابدا . حالما يعتقد المرء انه ملك شيئا ، فهذا يعني ان هذا الشيء لم يعد ما كان يبتغيه . وكما ينشد براسنس Brassens ، « عندما يعتقد انه يشد اليه سعادته ، فانه يسحقها » .
Denis Vasse : Le Temps du désir, p. 40.
راجع ايضا :
Michel Richard et coll. : La Psychologie et ses domaines, p. 178, Chronique sociale de France, 1971.
Dr. Bernard Muldworf : L'Adultère, p. 88.
١١١ ــ راجع :
Dr. Bernard Muldworf : op. cit., p. 84.
Roger Vercel : Au large de l'Eden, p. 120, Ed. Rencontre, Lausanne.
١١٢ ــ يقول الشاعر الفرنسي الكبير بودلير ، منطلقا من معاناة شخصية مريرة :
« بعد الفسق ، يزداد دوما شعور المرء بالعزلة والتخلي » .
Baudelaire : Journaux intimes, cité in Baudelaire, Coll. «Les Géants», p. 88, Ed. Paris-Match, 1970.
في روايته الاخيرة ، « مراهق من الماضي » ، يروي لنا فرنسوا مورياك كيف عاش الان كاجاك فترة المراهقة في مطلع هذا القرن . لقد عاش الان ليلة حب مثيرة مع فتاة تدعى ماري . ثم واصل الشاب

والفتاة علاقتهما الغرامية ، ولكن الان لم تعد تدفعه الى ماري سوى شهوة كانت تستبد به دون ان تستطيع منحه ذلك الملء الذي ذاقه فيما مضى :

« كنا نتساءل : لماذا لم يعد الامر كما كان سابقا ؟ (...) لماذا كان الشبه قليلا الى هذا الحد بين معاودات الخطيئة هذه وبين حلم ليلتنا الصيفية حيث انكشفت لي في لحظة واحدة كل سعادة الكون — كأنه سمح لروحينا في ذلك المساء ، وفيه وحده، ان تتحدا في الوقت الذي كان يتحد فيه جسدانا ؟ اما الآن ، فكان محكوما علي بالقرف من جديد ... » .

François Mauriac : Un Adolescent d'autrefois, p. 222, Ed. «J'ai lu», 1972.

١١٣ — راجع :

Tagore : La Fugitive, NRF, cité par Dr. Jouvenroux : Témoignage sur l'Amour humain, p. 75, Les Editions Ouvrières, Paris, 1949.

١١٤ — راجع :

Jean Giono : Le Chant du monde, cité in «Ensemble», 6ème série, fiche No. 7, p. 1.

١١٥ — راجع :

André Alsteens : Dialogue et Sexualité, p. 62, Ed. Casterman, Tournai, 1969.

في كتابهما القيم « معرفة الطفل بواسطة التحليل النفسي » ، يحدد المحللان النفسيان لوبوفيسي وسوليه الاستمناء على الشكل التالي :

« الاستمناء نشاط شهوي ذاتي يقصي الآخر ، ويتخذ ايضا معنى انسحاب من الواقع وعودة الى الاشباعات الرخيصة باستعمال الصور الخيالية » .

S. Lebovici et M. Soulé : La Connaissance de l'Enfant par la Psychanalyse, p. 482, P.U.F., Paris, 1970.

راجع ايضا :

op. cit., p. 474.

١١٦ — راجع :

François Duyckaerts : op. cit., pp. 295-296

Dr. André Berge : L'Education sexuelle et affective, p. 69, 6ème édition, Ed. du Scarabée, Paris, 1964.

من هنا تتولد الحاجة الى التكرار ، كما يبين الدكتور غارا . راجع :

Dr. L. Garat : La Masturbation, p. 264, in La Sexualité, tome I, Bibliothèque Marabout, Verviers, 1964.

١١٧ ــ كذلك تقييم الجنس المثلي يجب ان ينطلق من كونه بشكل ، على حد تعبير مارك اوريزون ، « عجزا جذريا عن الاتصال بمن هو حقيقة آخر » .

Marc Oraison : Pour une éducation morale dynamique, p. 90, Mame-Fayard, Paris, 1971.

١١٨ ــ في رواية روبير ميرل « نهاية اسبوع في زويدكوت » ، يقول احد اشخاص الرواية ، فيريل ، لآخر يدعى مايا ، متحدثا عن المغايا :

« كن اكيدا بأن تلك النساء لسن احدا ! وانهن لا يستأهلن حتى مجرد الحديث عنهن ! » .

Robert Merle : Week-end à Zuydcoote, p. 20, «Folio» 1972.

١١٩ ــ يذكر اوسفالت كوله في كتابه «زوجتك ، تلك المجهولة »، هذه الكلمات وقد افضت بها اليه احدى المراهقات :

« كثيرا جدا ما يطالبني الشبان بان امنحهم كل شيء ، دون ان يسالوني عن اسمي . انهم لا يعرفون لا اين اسكن ولا عمري . لست اذا سوى شيء بالنسبة اليهم ! » .

Oswalt Kolle : Ta femme, cette inconnue, p. 67, Casterman, 1970.

١٢٠ ــ راجع :

André Malraux : La Condition humaine, pp. 101-102, pp. 193-194, «Le Livre de poche», 1954.

١٢١ ــ راجع :

Marc Oraison : Pour une éducation morale dynamique, p. 99.

١٢٢ ــ راجع :

François Duyckaerts : op. cit., p. 261, pp. 295-296.

Ignace Lepp . Psychanalyse de l'Amour, p. 147, Ed Grasset, Paris, 1959.

Simone de Beauvoir : Les mandarins, tome I, pp. 37-38, 117-127, Le Livre de poche, 1968.

تقول ماري تيريز فان ايكوت :

« ان علاقات جنسية من هذا النوع ، فقيرة بهذا المقدار على الصعيد العاطفي ، شبه عاجزة على ان تعطي المرء الشعور بالاكتمال .

« انه لا يجد السعادة الا في الحب الحقيقي . عندما يساهم كيانه كله في العمل الجنسي ويجد في الآخر تجاوبا وتناغما معه » .

Marie-Thérèse Van Eeckhout : Nos enfants devant la sexualité, p. 147, Casterman, Tournai, 1966.

ويقول الدكتور اندره مورالي ــ دانينوس :

« ان هذا الجنس (...) الذي يقتل الحنان ، يجلب في نهاية العمل شعورا بالضياع وباللامعنى وعدم الرضى ، مبررا هكذا المثل الرهيب : « الحيوان حزين بعد الجماع » . فبالضبط عندما يجامع الانسان على منوال الحيوان يحس بالكآبة بعد العناق » .

Dr. André Morali-Daninos : Evolution des mœurs sexuelles, pp. 141-142, Casterman, 1972.

١٢٣ — راجع :

Marc Oraison : Le Célibat. p. 32.

يبين ارنست ال مثلا كيف ان عدم اشباع الحاجة الى الاتصالات العاطفية في سني الطفولة الاولى قد يسبب سعيا لا ينقطع وراء اتصالات عابرة وبالتالي مخيبة ، لانعدام القدرة على الارتباط بشريك بشكل عميق ودائم . مما قد يترجم بسعر (هيجان) جنسي حقيقي . راجع :

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte. Les Etapes de la vie affective et sexuelle, p. 148.

١٢٤ — راجع :

Erich Fromm : op. cit., p. 28.

١٢٥ — راجع :

Les Lettres d'amour de François et d'Antoinette, p. 174, Les Editions Ouvrières, Paris, 1967.

١٢٦ — راجع :

Hélène Deutsch : Problèmes de l'adolescence, pp. 122-123, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1970.

في روايته « جناح السرطان » ، يروى لنا الكسندر سولجنيتسين ان زويي ، وهي طالبة طب روسية ، عاشت ، بموجب الآراء الشائعة في محيطها ، سلسلة من المغامرات الجنسية العابرة ، ويصور الانطباعات التي تركتها فيها تلك المغامرات ، فيقول :

« وبالفعل ظهر لها ذلك على انه احساس قوي ، وافلتت زويي نهائيا ، منذ الصف الاول ثانوي ، من فئة العوانس ، ولكنها ، رغم كل شيء ، لم تنل بالحقيقة ما كانت تنتظره . ما كان ناقصا في كل ذلك ، انما كان دواما مثابرا وواعيا يعطي الحياة استقرارا ، وكأن الحياة نفسها كانت تعوزها ، اذا صح التعبير ... » .

ويضيف الكاتب في مكان لاحق انه في كل مرة « كان كل شيء ينتهي بالتقاط كئيب للثياب المبعثرة في الغرفة » .

Alexandre Soljénitsyne : Le Pavillon des Cancéreux, pp. 223, 329, Le Livre de poche, Paris, 1971.

١٢٧ — كثيرا ما يكون ذلك صحيحا بالنسبة للرجل ، بينما تنتظر المرأة المزيد من التعاطف الوجداني ، فتصدم الى حد ان العلاقة الجنسية تفقد كل قيمتها او اكثرها بالنسبة اليها .

تقول جاكلين برجرية ان المـــرأة هي دومـــا التي تنادي الحب وتنتظره ، وان ذلك معبر عنه حتي في المشهد الهيبي الاباحي « هير »، حيث توجد اغنية تعبر عن مرارة المرأة عندما تجد ان شهوة الرجل لا تريد ان تسلك درب الحب . راجع :

Jacqueline Bergeret : Suite pour Eve, pp. 86-87.

وتذكر لنا مرشدة زوجية ، مارغريت لامبير ، شهادتين نسائيتين بهذا الصدد . راجع :

Marguerite Lambert : Amour vécu. Journal d'une conseillère conjugale, p. 45, Resma, 1973.

ويقول اسفالت كوله :

« ان مزيجا من الحب والجنس يستطيع وحده ان يقود المرأة الى تحقيق ذاتها بالفعل على الصعيد الجنسي . ما عدا ذلك ، فالكل ناقص ويترك شعورا بالفشل والخيبة . انطلاقا من هذه الاعتبارات يثور بحق الاستاذ نيدرماير ، الاختصاصي بالامراض النسائية في فيينا ، قائلا : « عندنا ، لسوء الحظ ، المزيد من الحالات التي يجد فيها اطباء انفسهم امام اضطرابات عصبيـــة بسيطة ، فيوصون فتيات لم يكدن يتجاوزن فترة البلوغ بممارسة العلاقات الجنسية ، غير واعين للمسؤوليات التي ترتبها توصية كهذه » .

Oswalt Kolle : Ta femme, cette inconnue, p. 60.

ويذكر الكاتب عدة شهادات دراماتيكية تظهر مـــدى الشعور بالفشل والخيبة الذي انتاب نساء اثنـــاء اول اتصال جنسي ، في الزواج او خارجه ، عندما ضاجعهن شريكهن بعنف دون ان يبدي لهن حنانا كفيلا بأن يوقظهن الى الحب ويثير فيهن الرغبة في الجماع . وهاك احدى تلك الخبرات الاليمة :

« اليكم القصة التي روتها لي امراة شابة عن ليلـــة زفافها : « كان لي حينذاك تسعة عشر سنة من العمر ، وكنت قـــد شربت كمية لا بأس بها من الكحول لأتغلب على خوفي . لم يبق لي من تلك الليلة سوى تذكار اقصى حد من القرف (. . .) واذ لم استطع ان اتغلب على نفوري ، طلقت زوجي بعد خمسة اعوام » .

ويعلق الكاتب قائلا :

« ان خبرات اولى من هذا النوع كثيرا ما تتلف عند المرأة طاقات ثمينة ، وان الصدمة التي تحدثها فيها يمكنها ان تقـــود الى برودة جنسية دائمة » .

ويضيف :

« ان الرجال . . . لا يفهمون ان النساء لا يردن ان يؤخذن بل ان يجذبن » .

ويبين الكاتب كيف ان الموقف العنيف وغير المتفهم الذي يتخذه

الرجل عندما يستسلم لصخب شهوته دون مراعاة لمشاعر شريكته ، ان هذا الموقف قد يبلور المخاوف التي تـرافق يقظة الجنس عنـد المرأة (الخوف من تسليم جسدها لولوج الرجل ، الخـوف من الالم والحمل) :

« يكفي ... هجوم مفاجىء ، موقف عنيف وغير متفهم من قبل الرجل لكي تتحول هذه المخاوف الى واقع قاس . في لا وعي المرأة يتمركز عندئذ شعور بأنها كانت ضحية عمل كانت تتوقع فظاعته » .

راجع :

Oswalt Kolle : Ta femme, cette inconnue, pp. 59-60.

راجع ايضا :

Oswalt Kolle : Expérience de l'amour moderne, p. 236, Robert Laffont, Paris, 1970.

واذا شئنا شواهد ادبية على تلك الظاهرة ، فلنأخذ مثلا رواية « طواحين بيروت » ، لتوفيق يوسف عواد . يصور لنا الكاتب كيف ان بطلة الرواية ، تميمـة ، أحبت الصحفي رمزي رعد من خـلال كتاباته ووهبته ذاتها . ولكنهـا اكتشفـت انه لا يبغي منها سوى اشباع شهوته ، فمات حبها ، وبعد ان منحته ذاتها للمرة الثانية ، كتبت في مذكراتها :

« أحسست اليوم للمرة الاولى بصقيع المـوت . رايت الحب ممددا على السرير بلا روح . بشع الحب بعد موته ، ككل الجثث ، وله رائحتها » .

توفيق يوسف عواد : طواحين بيروت ، ص ١١٥ ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، ١٩٧٢ .

١٢٨ ــ راجع :

Erich Fromm : op. cit., p. 73.

Norman Mailer : Les Nus et les Morts, tome 1, pp. 532-533, Ed. Rencontre.

١٢٩ ــ راجع :

Eustace Chesser : Les Relations sexuelles des 15-20 ans, pp. 147-148.

١٣٠ ــ راجع :

Dr. Jean G. Lemaire : op. cit., p. 65.

راجع بهذا الصدد شهادة زوج couple طلابي شاب ، كمـا يثبته مارك أوريزون في كتابه : « من اجل تربية اخلاقية ديناميكية » .

Marc Oraison : Pour une éducation morale dynamique, pp. 101-102.

راجع ايضا :

Denis Vasse : Le Temps du désir, p. 79.

١٣١ ــ راجع :

Odette Thibault : Sexualité aujcurd'hui = Sexualité libérée, in Témoignage Chrétien, No. 1359, 23 Juillet 1970 pp. 20-21.

يقول الدكتور غواش :

« عندما يتحدثون عن انفلات الجنس المعاصر ، هل يفكرون بأن حدوث الانفلات يفترض وجود قيود سابقة ؟ » .

« ان العهد الفيكتوري والقرن التاسع عشر البورجوازي تصغير كبلا الجنس بطهريتهما المرائية والمفرطة . الجنس الاباحي اليوم يتحدى هذه الطهرية المتزمتة . انه ، على الارجح ، لا يخلو من الغلو . ولكن لا يمكن ان ننسى ان قوة التمرد انما هي بنسبة قوة القمع » .

G.-Ph. Guasch : Adolescence et Sexualité, p. 23, in «Le Groupe familial», No. 54, janvier 1972, pp. 17-24.

١٣٢ — راجع :

Dr. Paul Chauchard : op. cit., p. 83.

١٣٣ — راجع :

Paul Minelli : La liberté sexuelle, c'est d'abord la liberté, in Témoignage Chrétien, No. 1336, 12 février 1970, pp. 16-17.

١٣٤ — راجع :

Joachim Bodamer : Sexualité, Amour et Névrose, p. 7, Labor et Fides, Genève, 1970.

١٣٥ — يقول يواكيم بودامير :

« يخيم على هذه الحضارة (الحديثة) نوع من الضرورة المأساوية : فالانسان الحاضر يعمل ليستطيع ان يستهلك ويجب ان يستهلك ليحافظ على تواتر فرص العمل » .

Joachim Bodamer : op. cit., p. 38.

١٣٦ — راجع :

Dr. Gérard Mendel : La Révolte contre le Père, pp. 276-277, 384-387, Ed. Payot, Paris, 1969.

Jean-Michel Palmier : Présentation d'Herbert Marcuse, Coll. «10-18», Union générale d'éditions, Paris, 1969.

Herbert Marcuse : Eros et Civilisation, Coll. «Point», Seuil, Paris, 1971, pp. 80-103.

١٣٧ — راجع :

Dr. Bernard Muldworf : L'Adultère, pp. 67-68.

١٣٨ — راجع :

Dr. Jacques Cosnier : Clefs pour la Psychologie, pp. 164-165, Seghers, Paris, 1971.

Jacques Duquesne : Dieu pour l'homme d'aujourd'hui,

pp. 71-86, Grasset, Paris, 1970.

Rolande Dupont : Le Conseil conjugal et familial, pp. 11-12, Casterman, Tournai, 1972.

١٣٩ ــ اضف الى ذلك شبح الفناء الجماعي بالحـــرب الذرية والاسلحة الفتاكة الاخرى التي تملكها البشرية اليوم . راجع :

Ignace Lepp : La Mort et ses Mystères, pp. 87-91, Grasset, Paris, 1966.

عن غياب المعنى ، راجع ايضا :

Rolande Dupont : op. cit., p. 12.

١٤٠ ــ راجع :

Joachim Bodamer : op. cit., pp. 49-61.

١٤١ ــ يقول يواكيم بودامير :

« ان الحب ... يحيا ايضا من الوقت الـــذي يمنـــح له لكي يظهر . ولكن الوقت اصبح اندر سلعة في زمننا ، زمن التدافع ، وحلول الاستحقاقات ، والانتاج ... » .

Joachim Bodamer : op. cit., p. 40.

مما يذكر بكلمات الثعلب للامير الصغير في رائعة انطوان دي سان اكسوبري :

« لا يعرف المرء الا ما يدجنه . لم يعد للناس وقت ليعرفوا اي شيء . فانهم يشترون الاشياء جاهزة عند الباعة . وبما انه لا يوجد باعة اصدقاء ، فلم يعد للناس اصدقـــاء . ان كنت تريد صديقـــا ، دجنني » .

Antoine de Saint-Exupéry : Le Petit Prince, p. 69, Gallimard, Paris, 1948.

ومن ظواهر المجتمع الصناعي الحديث ، تلك النزعة الى قولبة البشر في قالب واحد مغفل . هذا ، من شأنه ان يعيق الحب كما يبين المحلل النفسي كريستيان دافيد . يقول ان من شان هذه القولبة « ان تزيل الطابع الفريد للنفسيات دون ان تزيل بالحقيقة الحواجز التي تحول دون تبادل العلاقات بينها (...) ان الفوارق ، عنـــد الاكثرين ، في تناقص تدريجي (...) ولكن حالة الحب تعيش من الفوارق ... » . راجع :

Christian David : L'état amoureux, pp. 199-200.

واليكم شاهدا يقدمه لنا اسفالت كوله عن اضفاء الطابـــع الآلي الذي يتميز به المجتمع الصناعي الحديث على الجنس نفسه :

انها شهادة فتاة تدعى بربارة اقامت علاقة مع شاب كان يعتز بجمع الاختبارات النسائية . ولشدة ثقته بمعلوماتـــه « التقنية » الواسعة جدا ، اراد هذا الشاب ان يغوي بربارة دون حب ، ولكنه لم يتوصل الى مأربه :

« كان يدعي انه يعرف كيف يغوي النساء ، وكنت الوحيدة التي لم يستطع اغواءها . كنت اشعر بنفسي وكأنني (بنظره) موزع آلي يناسب كل زر فيه نتيجة محددة » .

اخيرا وهبته ذاتها ، لأنها لم تفقد الامل بأن تكتشف فيه الرجل الذي كانت تفتش عنه .

« لقد سبب له قراري ارتياحا لا يصدق . قام بالعمل بدقة علمية خالصة . كنت احس وكأنني في عيادة طبيب اسنان . فقد اتيح اخيرا للذكر المعتز بنفسه ان يظهر لي كل سعة علمه . منذ ذلك اليوم ، انتهى كل شيء بالنسبة لي . كتبت له ذلك . فلم يفهم ... »

Oswalt Kolle : Ta femme, cette inconnue, pp. 66-67.

١٤٢ — يقول الدكتور غواش بهذا الصدد :

« ان المطالبة باللذة دون قيد او كابح هي من ثوابت هذه المتطلبات الجديدة (...) فالانسان المضطر ان يعيش ويعمل في شروط تصبح لا انسانية اكثر فأكثر ، يحس نفسه مسحوقا . فيحاول ان يهرب من هذا الواقع الضاغط بلذة . يريدها حادة بقدر ما يعرف انها عابرة (...) ان اعلان المرء لحقه باللذة ... كثيرا ما يكون ايضا تعبيرا عن الاحتجاج ضد واقع لا يمكن القبول به » .

G.-Ph. Guasch : op. cit., p. 23.

١٤٣ — راجع :

Erich Fromm : op. cit., pp. 106-107, p. 112, p. 133.

يقول دنيس فاس :

« في هذه الغفلية : كل لقاء (...) يبقى مستحيلا . وهذه الاستحالة تضاعف الحاجة الى الاستهلاك التي (...) تحمل في طياتها الرغبة في الحضور » .

Denis Vasse : Le Temps du désir, p. 104.

وقد كتبت كلير جبيلي :

« ... ان مطاردة اللذة تصبح هذا النوع من الافيون الذي « يحرر » الانسان القلق الساعي الى جاذب يقدر ان ينسيه سامه » .

Claire Gebeyli : Beyrouth, capitale de la vertu ? (L'Orient-Le Jour, Vie Moderne, Culture, Jeunes, du 12 au 18 février 1972, p. 9).

١٤٤ — راجع :

Odette Thibault : Hairotisme et pornocratie, in Témoignage Chrétien, No. 1325, 5 février 1970, p. 18.

١٤٥ — يقول المحلل النفسي كارل ستارن :

« ان التحرر من الاخلاق الطهرية كان يمكن ان يكون حميدا لو قاد الى ممارسة جنسية سليمة . عوض ذلك ، لا نغالي اطلاقا اذا

توقعنا ان مؤرخي المستقبل سوف يحكمون على الحضارة الشعبية السائدة في ايامنا على انها حضـــارة متلصصين voyeurs ذات طابع فمي » .

Karl Stern : Refus de la femme, p. 249, Mame, Paris, 1969

١٤٦ ـــ راجع :

Violette Morin et Joseph Majault : op. cit., p. 16.
Joachim Bodamer : op. cit., p. 37.

١٤٧ ـــ راجع :

Paul Ricœur : La Merveille, l'Errance, l'Enigme, in La Sexualité, «Esprit», novembre 1960, p. 1672.
Abel Jeannière : op. cit., p. 35, pp. 156-157

تقول تيريز كيفال في مقال لها عن التربية الجنسية للمراهقين :

« بما ان الشاب هو مستهلك مثالي ، لذا فهو معرض بأن يرى غريزته الجنسية موظفة في الشيء القابل للاستهلاك ، لذا فان خطر الاثارة الجنسية الذي يبدو انه يخشى منه كثيرا عليه قد يكون بالفعل خطرا آخر : خطر انحلال النزعة الجنسية .

« لذا سنحاول ، اذا توجهنا اليه ، ان نسمح له باعادة الاعتبار الى الجنس » .

Thérèse Queval : l'Education sexuelle des adolescents, p. 6, in «Vers l'Education nouvelle», No. 253, juin 1971.

١٤٨ ـــ راجع :

Majault et Morin : op. cit., pp. 48-49, 51, 97.
Jean-Michel Palmier : Présentation d'Herbert Marcuse, pp. 128-129.

١٤٩ ـــ راجع :

Bannister et als. : Problèmes du mariage, pp. 202-203, P.U.F., Paris, 1959.

١٥٠ ـــ راجع :

Jean Brun : Aliénation et Sexualité, in La Sexualité, «Esprit», novembre 1960, p. 1812.
Paul Evdokimov : op. cit., p. 220.

١٥١ ـــ يقول احد الشعراء :

« تعتقدين ...
« ان الحواس وحدها تنشيء النشوات ....
« ولكنني كنت اتثاءب في وسط ملاطفاتك ... » .

Villiers de l'Isle-Adam : Rencontre, cité in Baudelaire, Coll. «Les Géants», Ed. Paris-Match, 1970, p. 104.

١٥٢ ـــ راجع :

Dr. Gérard Mendel : La Révolte contre le Père, p. 112 Payot, Paris, 1969.

١٥٣ — راجع :

Paul Evdokimov : op. cit., p. 221.

١٥٤ — راجع :

Paul Ricœur : op. cit., p. 1672.

يقول الدكتور دنيس فاللون :

« عندما كان مضغوطا في عهد فرويد ، كان الجنس علة الكثير من الامراض العصبية . اما اليوم وقد ابتذل ؛ فهو علة الكثير من الانهيارات العصبية ... » .

Dr. Denis Wallon : Les Ages de l'Enfant, tome 2, 3 à 11 ans, p. 151, Editions Universitaires, Paris, 1971.

ويقول الدكتور اندره مورالي — دانينوس :

« لا يستقبل الاطباء اليوم هذا النوع من المرضى المكبوتين الذين كان بوسع فرويد ان يعالجهم . بالعكس ، يتحدثون اليوم كثيرا عن الجنس ويمارسونه كثيرا ، ولكن ذلك لا يجلب للناس سعادة أوفر . هناك نوع من الحزن والخمول يلازم حرية الاشباع الجنسي المطلقة على صعيد الكلام والعمل » .

Dr. André Morali-Daninos : Evolution des mœurs sexuelles, pp. 131-132, Casterman, 1972.

١٥٥ — راجع :

P. Evdokimov : op. cit., pp. 220-223.

Françoise Sagan : Bonjour tristesse, Le Livre de poche, 1964.

Françoise Sagan : Un certain sourire, Ed. René Julliard, Paris, 1956.

Dr. Louis Le Guillant : Jeunes «difficiles» ou temps difficiles ? 2ème édition, pp. 29-33, Scarabée, Paris, 1969.

١٥٦ — راجع :

André Stéphane : l'Univers contestationnaire, p. 214, p. 246, en note, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1969.

يقول المحلل النفسي الدكتور اندره برج :

« ان السأم هو ... عدم الاهلية على توظيف شحنة انفعالية في الاشياء الخارجية كافية لأن تجعلها مشوقة ومرغوبة . وبعبارات اخرى ، فالسأم هو الشعور بالفراغ العاطفي » .

Dr. André Berge : Les Défauts de l'Enfant, p. 131, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1968.

هذا ما يتلاقى مع تحليل الفيلسوف جان لاكروا :

« انه (اي السأم) يولد من فقر داخلي : انني اضجر عندما اسلم الى ذاتي ولا اجد فيها ما يرضيني . انه نداء لا يلقى جوابا ؛

اي انه سرعان ما يصبح قلقا : بين الضجر والقلق خطوة واحدة سرعان ما تجتاز . فالقلق هو دوما نوع من الدوار الماورائي يعاني منه المرء اذا جابه عدمه الداخلي ... » .

Jean Lacroix : Le Sens du Dialogue, p. 18, La Baconnière, Neuchâtel, 1965.

١٥٧ — يقول يواكيم بودامير معلقا على روايات هنري ميللر :

« ان حالات الهياج الجنسي عند الاميركي هنري ميللر (...) ليست في اعماقها سوى صرخة واحدة من اليأس ، يأس نابع من انه لم يعد موجودا سوى الجنس ومن ان الشهوة البحتة هي اكثر ما ينشىء اليأس والسأم في حياة الانسان الذي تخلى الحب عنه ، عندما يحاول ان ينجو من هذا التخلي » .

Joachim Bodamer : Sexualité, Amour et Névrose, pp. 36-37.

ويبين الدكتور اندره برج العلاقة القائمة بين السأم من جهة وبين نزعة طفولية الى الأخذ دون القدرة على العطاء ، من جهة اخرى . راجع :

Dr. André Berge : Les Défauts de l'enfant, pp. 129-136.

١٥٨ — راجع :

L'Orient, 28 novembre 1967.

Dr. Bernard Muldworf : L'Adultère, p. 189.

١٥٩ — راجع :

Hélène Deutsch : Problèmes de l'adolescence, pp. 109-113, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1970.

ويتحدث شارل كومبالوزييه عن كآبة « فئة من الشباب مغمورة بكل شيء ما عدا بالحب ، لأنها « تفعله » (اي تحصره في مظهره الجسدي) عوض ان تعيشه » .

Charles Combaluzier : Dieu demain, pp. 171-172, Seuil, Paris, 1972.

١٦٠ — راجع :

S. Freud : Contribution à la psychologie de la vie amoureuse, cité par Albert Plé : Freud et la morale, p. 133.

« يدعي برتراند راسل ... ان الافراط الجنسي يسبب التعب والقرف اللذين يمهدان الطريق للزهد » .

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, p. 120.

١٦١ — ان فرويد يعترف بتلك الظاهرة فيما يتعلق بحب الخمر عند الشارب . راجع :

S. Freud : Sur le plus général des rabaissements de la vie amoureuse (1912), pp. 63-64, in La Vie sexuelle,

P.U.F., Paris, 1970.

١٦٢ — راجع :

Louis Millet : l'Agressivité, p. 82, Ed. Universitaires Paris, 1970.

يقول جان لاكروا :

« ان المجون ... يحاول ان يتمتع بالجنس بحد ذاته . انه يستخدم الآخر لمجرد الاثارة الجنسية . انه يتشبث بالمتعة . ولهذا السبب بعينه لا يبلغها الا فيما ندر (...) فالجنس يدور فيه حول نفسه » . راجع :

Jean Lacroix : Le Sens du Dialogue, pp. 101-102 pp. 114-115.

هذا ما يؤكده العديد من الدراسات النفسية والاجتماعية التي تتناول انسان المجتمع الصناعي الحديث .

يقول يواكيم بودامير :

« ان كل الدراسات الاجتماعية الرصينة تؤول اليوم الى النتيجة نفسها ، الا وهي ان سلوكنا الجنسي قد هبط ، بشكل لا يحتمل الجدل ، الى مستوى بدائي ، لأنه ، وقد تحرر من كل مشاركة عاطفية ، فقد انحصر ، الى حد بعيد ، فيما هو ملموس وتافه . فاللذة الجنسية البحتة تبقى في الاعماق غير مرضية (...) وتثير دوما جوعا جديدا ، حاجة جديدة الى الاثارة ... » .

ويضيف :

« ان الجنس ايضا تشمله تلك الظاهرة من الاستهلاك المعمم التي تجعل اللذة عابرة بهذا المقدار حتى انه لا يسعها ان تؤدي ابدا الى الاشباع » .

Joachim Bodamer : op. cit., pp. 35, 38.

ويقول المحلل النفسي جورج موكو متحدثا عن الاختبارات المعاصرة في الممارسة الجنسية الجماعية :

« ان السعي الحصري الى اللذة الجنسية في التهتك الجماعي كثيرا ما يؤول الى شعور بعدم الرضى العاطفي وبالقرف ... » .

وعن الاباحية في الكتابة والصور ، يقول :

« ... ان الحرية الكاملة التي اطلقت لتلك الاباحية في الدانيمارك كان لها الفضل في انزال قيمتها وفي ابراز طابعها غير المرضي والكئيب . ذلك ان انواع التحريم المتزمت tabou والكبت هي التي تغذي السعي الى الاباحية في الكتابة والصور ، ذلك السعي الذي وظيفته الاساسية هي ان يحجب النقص في الحب » .

Georges Mauco : Les Célibataires et le Célibat, pp. 197, 198, Aubier-Montaigne, Paris, 1973.

ويبين الفيلسوف الشاب كريستيان دلاكامباني ان الاباحية

المعاصرة تؤول ، وراء ستار التحرر الجنسي ، الى قمع للجنس لا يقل خطورة عن قمع التزمت الطهري له :

« ان الاباحية التي يعاش فيها الجنس بالفعل اليوم ، بالنسبة لبعض الفئات الاجتماعية ، تبدو لنا احد شكل للقمـــع الذي مورس حتى الآن ضده (...) بهذا المعنى فاننا مخدوعون جـدا ، نحن نزيلو الخداع في القرن العشرين : اذ اننا لا نرى ان تشجيع الناس على ان لا يأخذوا الجنس على محمل الجد ، انما يقود الى تجريده من كل قدرته كي يسهل قمعه (...) ان الروح البورجوازية (...) تبقى — سواء في عهد الطهرية او في عهـد التحـرر الجنسي — امينة لتلك النظرية التي ترفض ان تمنح الجنس قيمته الحقيقية — التي هي قيمة قدسية — ولا تحتمله الا بشرط ان يبقى عالميا profane اي بشرط ان لا يعني شيئا . ذلك ان نظـرية التحـرر الجنسي والاخلاق الطهرية يؤديان كلاهما الى تهديم الجنس dé-sexualisation (...) كلاهما قمعي بالدرجة نفسها » .

Christian Delacampagne : Antipsychiatrie. Les voies du sacré, pp. 124-125, p. 128, Grasset, Paris, 1974.

هذا ما يتلاقى مع ملاحظة المحـلل النفســي الالمـاني الكبير الكسندر ميتشرليش في كتابه « فكرة السلام والعدوانية البشرية » ، اذ يقول ان المجتمع التكنولوجي الحديث قد اوجد « نمطا جديدا من استلاب الانسان بالنسبة لامكانياته الجنسية » ، ذلك « ان الخبرة الجنسية اصبحت محصورة حاليا في حاجة الى الاستهلاك ، تلك الحاجة التي ، وان قلدت الحاجة الجنسية ، الا انها تكبت انسنة علاقات الحب » .

Alexander Mitscherlich : L'Idée de paix et l'Agressivité humaine, p. 180, «Idées», Gallimard, 1970.

راجع ايضا :

Dr. Bernard Muldworf : L'Adultère, p. 84.

Dr. André Berge : La Sexualité aujourd'hui, pp. 162-163, Casterman, Tournai, 1970.

١٦٣ — يقول احد النقاد السينمائيين معلقا على فيلم اميركي حديث :

« بمقدار ما يغمر التطور الاجتماعي الانسان بالمنافع المادية ، فانه يخترع لنفسه حاجات ، يرتبك بوسائل الترف والسيارات ، ويركز على حياته الجنسية : كلما تناقصت قدرة الحب فيه ، كلما اراد ان « يفعل الحب » ... »

Goux-Pelletan : «Carnal Knowledge» ou l'Obsession américaine vue par Mike Nichols (L'Orient-Le Jour, Cinéma, Femme, Loisirs, du 6 au 12 mai 1972, p. 4).

وقد كتب الشاعر المعاصر الكبير لويس اراغون ، مخاطبا لحبيبة :

« لقد اخذت بيدي في هذا الجحيم الحديث

« الذي لم يعد يعرف فيه المرء كيف يتواجد اثنان » .

Louis Aragon : Prose du Bonheur et d'Elsa, in Poésies, pp. 218-219, cité par Michel Dansereau : Freud et l'Athéisme, p. 170, Desclée, Paris, 1971.

هذا ما عبر عنه المفكر جان بران بكلمات اخرى قائلا :

« في هذا العالم الذي لا تؤدي فيه الاحتكاكات الى لقاءات ، في هذا الكون الذي لم يعد فيه الآخر سوى شريك يمكن بسهولة ابداله ، لم يعد من مكان لعبارة « أحبك » ... » .

Jean Brun : La Nudité humaine, p. 55, Ed. Fayard, Paris, 1973.

راجع ايضا :

Josette Mélèze : Les Fragilités du Couple, p. 178, Centurion-Grasset, Paris, 1972.

١٦٤ — راجع :

Paul Ricœur : op. cit., p. 1674.

Dr. Bernard Muldworf : L'Adultère, pp. 94-95, p. 101, pp. 131-132.

١٦٥ — راجع :

Erich Fromm : op. cit., pp. 108-109.
François Duyckaerts : op. cit., pp. 282-285.
Simone de Beauvoir : Les Mandarins, tome I, p. 123.

« ان « ظاهرة الحنان » ، يعتبرها الاستاذ غيزه Giese من اهم عناصر الحياة الجنسية » .

Oswalt Kolle : Expérience de l'amour moderne, p. 272.

ويقول اوسفالت كوله في مكان آخر من كتابه هذا « اختبار الحب الحديث » :

« ... المهم في لعبة الحب ليس بهذا المقدار استعمال اساليب تقنية تكون على اكثر ما يمكن من التفنن والطرافة . ففي العلاقات الجنسية ، القضية هي خاصة قضية مشاعر . ليست التقنية بشيء ان لم ترتكز على الحب ، على محاولة الشريك بأن يضع نفسه مكان الآخر ، وبأن يمنحه لذة ويستمد من ذلك لذته الخاصة » .

Oswalt Kolle : op. cit., pp. 260-261, p. 227.

ويقول اوستاس شيسر :

« ان الخبرة الجنسية لا ترد الى مظهر « آلي » ، لا بل تتجاوزه الى حد بعيد . ما يفوق اهمية بكثير على المهارة ، انما هو الحالة النفسية . وما يجب ان يغلب في هذا الموقف النفسي ، هو الرغبة

الصادقة في اسعاد الآخر » .

Eustace Chesser : Les Relations sexuelles des 15-20 ans, p. 147.

وقد اشارت اوديت تيبو الى ما قد يتستر وراء المغالاة في أهمية التقنية الجنسية ، من هرب امام الالتزام العاطفي :

« انه لخطأ مأساوي ان يحاول رد النجاح في الحب الى مسألة « تقنية » . يخشى من ان يكون السعي الى الأهلية التقنية احيانا علامة على نوع من الهرب امام الالتزام العاطفي ، على خوف من العطاء الكلي ... كما لو كان بوسع المـرء ان يعوض عن نقص الحب بمآثر تقنية ! هذا ، اذا صح التعبير ، نوع آخر من العجز الجنسي ، ذات نمط نفسي » .

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, p. 32.

١٦٦ ــ راجع :

François Duyckaerts : op. cit., p. 282.

Oswalt Kolle : Expérience de l'amour moderne, p. 373 et passim.

١٦٧ ــ راجع :

Jean-Paul Charrier : L'Inconscient et la Psychanalyse, p. 68, P.U.F., Paris, 1968.

١٦٨ ــ راجع :

François Chirpaz : L'Intention de rencontre, in «La Sexualité», p. 1835.

تقول مرغريت لامبير في كتاب تستند فيه الى خبرتها كمرشدة زوجية :

« اعتقد ان عصرنا قد اهتدى بالفعل الى ان الجسد لغة ، اداة تعبير . ففي كل مكان نرى وصفا لموارده ولتوزيع مناطق اللذة فيه ، حتى في المجلات المعدة للمراهقين ترسم المنحنيـات البيانية لذروة النشوة الجنسية . ويتساءل المرء : الا تؤدي تلك الارادة في كشف كل شيء الى تناسي معنى الجسد والاتحاد ؟ » .

وتضيف مشبهة الجسد بآلة موسيقية :

« لقد اصبح الكمان معروفا بشكل افضل .

« وقد شرحت كيفية استعماله .

« ولكن من الذي سوف يعزف عليه ؟ وباي « الهام » ؟ هذا ما لا يتحدثون عنه (...) .

« وبعبارة اخرى ، المهم هـو بأن واحـد نوعيـة الآلة وفن استعمالها ، ولكن ، اكثر من ذلك ، حقيقة ونوعية ما يريد الشريكان ان يعبر كل منهما عنه للآخر .

« وقد يعود لهذه الاسباب كون الانسجام الجنسي هو ، كما

يتضح ، مشروع قلما يتحقق ، بالفعل ، بشكل مرضي » .

Marguerite Lambert : Amour vécu. Journal d'une conseillère conjugale, p. 82, Resma, 1973.

١٦٩ ــ راجع :

Christiane Rochefort : Le Repos du Guerrier, p. 52, p. 201, Le Livre de poche, Paris, 1965.

١٧٠ ــ راجع :

Christiane Rochefort : op. cit., p. 114.

١٧١ ــ راجع :

C. Rochefort : op. cit., p. 136.

١٧٢ ــ راجع :

François Chirpaz : Dimensions de la sexualité, in «Etudes», mars 1969, pp. 409-423.

١٧٣ ــ راجع :

F. Chirpaz : op. cit., p. 420.